الجزء الخامس

في ذكر العمالات الجهادية
وما يتشعب منها وما يتصل بها
وفيه خمسة وأربعون باباً

الباب الأول

في الإمارة على الجهاد

وفيه فصلان

الفصل الأول
في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم
وكم غزوة غزا وفي كم غزوة قاتل منها

روى البخاري (٥: ٩٠) رحمه الله تعالى عن أَبي إسحاق: كنت إلى جَنْبِ زيد بن أَرقم، فقيل له: كم غزا النبيّ صلى الله عليه وسلم من غزوة؟ قال: تسع عشرة، قيل: كم غزوة أَنت معه؟ قال: سبع عشرة.

وروى مسلم (٢: ٧٨) عن أبي الزبير أَنه سمع جابر بن عبدالله يقول: غزوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة، قال جابر: لم أَشهد بدراً ولا أُحداً منعني أَبي، فلما قتل عبدالله يوم أُحد لم أَتخلَّفْ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوةٍ قطّ.

وروى مسلم (٢: ٧٨) أَيضاً عن عبدالله بن بُرَيْدَةَ عن أَبيه قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة، قاتل في ثمان منهن.

وذكر أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٤٣) عن أَبي إسحاق أَيضاً قال: سأَلت زيد ابن أَرقم: كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تسع عشرة غزوة، وغزوت معه سبع عشرة غزوة وسبقني بغزاتين.

قال أَبو عمر رحمه الله تعالى (٤٣): وأَكثر ما قيل في ذلك أَن غزاته بنفسه

ـ عليه السلام ـ كانت ستاً وعشرين غزوة، وكانت أَشرفَ غزواته وأَعظَمَها حرمةً عند الله وعند رسوله والمسلمين غزوةُ بدر الكبرى، حيث قتل الله صناديدَ قريش؛ وأَظهر دينه من يومئذ، وكانت بدرٌ في السنة الثانية من الهجرة لسبع عشرة من رمضان، وليس في غزواته ما يعدل بها في الفضل ويقربُ منها إلا غزوة الحديبية حيث كانت بيعةُ الرضوان، وذلك سنة ست من الهجرة. انتهى.

الفصل الثاني
في بعثه صلى الله عليه وسلم الأمراء للجهاد
وفيه عدد بعوثه وسراياه صلى الله عليه وسلم

قال أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٤٣): كانت بعوثه وسراياه صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين من بين بعثٍ وسرية. انتهى.

وقال ابن جماعة في «مختصر السير»: كانت سراياه صلى الله عليه وسلم ستاً وخمسين، كما ذكر الشيخ شرف الدين الدمياطي رحمه الله تعالى، وقيل كانت ثمانياً وأَربعين، وقيل سبعاً وأَربعين، وقيل ستاً وثلاثين. انتهى.

فوائد لغوية في أربع مسائل:

الأولى: الهروي قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا في الله حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (الحج: ٧٨) الجهاد: المبالغة واستفراغ ما في الوسع بحربٍ أو لسانٍ أَو ما أَطاق من شيءٍ.

الثانية: في «المحكم» (٦: ٢٦) الغزو: السيرُ إلى قتالِ العدوّ وانتهابُه.

وفي «الصحاح» (٦: ٢٢٤٦) واختصرته: غزوت العدو غزواً، والاسم: الغزاة، ورجل غازٍ، والجمع غُزَاة مثل قُضَاة، وغُزًّى مثل سُبَّق وغَزِيّ مثل حَجِيجٍ، وغُزَّاء مثل فُسَّاق، وأَغزيتُ فلاناً جهزتُه للغزو والنسبة إلى الغَزْوِ غَزَويّ.

قال ابن سيده (٦:٢٧): وقالوا: غزاةٌ واحدةٌ يريدون عَمَل وجهٍ واحِدٍ، كما قالوا حَجّةٌ واحدة يريدون عملَ سنةٍ واحدة، والقياسُ: غَزْوَة، وهي المرة الواحدة من الغزو.

الثالثة: في «الصحاح» (١:٢٧٣) البعوثُ: الجيوش، وكنت في بَعْثِ فلانٍ أَي جيشه الذي بعثه معه، وبعثه وابتعثه: بمعنى أَي أَرسله.

الرابعة: في «الصحاح» (٦:٢٣٧٥) السرية: قطعةٌ من الجيش، يقال: خير السرايا أَربعمائة.

الباب الثاني

في الرجل يستخلفه الإمام على حضرته إذا خرج عنها للغزو أو غيره

قد ذكر أَصحاب التواريخ والسير رحمهم الله تعالى من استلخفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في كلِّ خرجة خرجها منها، وفي ذكر جميع من ذكروه طولٌ فاقتصرت على ذكر من استخلفه في أَول غزاة غزاها، وذكرِ من استخلفه في آخر غزاة غزاها، وذلك في فصلين:

الفصل الأول
في ذكر أسمائهم رضي الله تعالى عنهم

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى في «السير» (١: ٥٩٠ ـ ٥٩١): خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر على رأْس اثني عشر شهراً من مقدمة المدينة.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سعدَ بن عبادة.

قال ابن إسحاق (٥٩١): حتى بلغ ودَّان، وهي غزوة الأَبواء، يريد قريشاً وبني ضَمْرَةَ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضَمرة، وكان الذي وادعه منهم مَخْشِيُّ بن عمرو الضَّمْرِي، وكان سيِّدَهُمْ في زمانه ذلك، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلقَ كيداً.

قال ابن هشام: وهي أولُ غزوةٍ غزاها. انتهى.

وقال ابن إسحاق (٢: ٥١٩) أَيضاً رحمه الله تعالى في خبرِ غزوة تبوك: فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثَنِيّة الوداع.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري.

قال: وذكر محمد بن عبدالعزيز الدَّراوَرْدِيّ عن أَبيه أَن النبيّ صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة مخرجه إِلى تبوك سِباعَ بن عُرْفطة. انتهى.

قال عز الدين بن جماعة في «مختصر السير»: كانت غزوة تبوك في السنة التاسعة في ثلاثين أَلفاً، معهم عشرة آلاف فرس، وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم. انتهى.

وقال أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١٣٧٧): محمد بن مسلمة استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في بعض غزواته، قيل: استخلفه في غزوة قَرْقَرة الكُدْر وقيل: إِنه استخلفه عام تبوك. انتهى.

الفصل الثاني
في ذكر أَنسابهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ــ **سعد بن عبادة رضي الله عنه**: يأْتي ذكره في باب اللواء، إِن شاء الله تعالى.

٢ ــ **محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه**: تقدم ذكره في باب الذين يقيمون الحدود بما أَغنى عن الإِعادة هنا.

٣ ــ **سباع بن عرفطة رضي الله تعالى عنه**: قال أبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في «الاستيعاب» (٦٨٢): سباع بن عُرفُطة استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خرج إِلى خيبر إِلى دُومَةِ الجندل، وهو من كبارِ الصحابة. انتهى ما ذكر أَبو عمر رحمه الله تعالى، ولم يَنْسِبْهُ.

قال ابن هشام في «السير» (٢: ٢١٣): سباعُ بن عُرفُطة الغِفاري استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوة دُومَةِ الجندل. انتهى.

فائدة لغوية:

في «الاشتقاق» لابن سيِّد: العُرْفُط ضربٌ من الشجر؛ قال محمد: يلقي شيئاً يقال له المغافير، واحده مُغفور، وهو حلوٌ له رائحةٌ منكرة، وبضم الميم والفاء قيَّده الفارابي، وبضم العين والفاء قيَّدَ العُرفُط أَيضاً.

الباب الثالث

في الرجل يستخلفه الإمام على أهله إذا سافر

في «السير» (٢: ٥١٦، ٥١٩): قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من عُمْرَتِهِ لستّ بقين من ذي القعدة من سنة ثمان، ثم أقام بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلَّما يخرُج في غزوة إلا كنى عنها إلاّ غزوةَ تبوك فإنه بيّنَها للناسِ لبعدِ الشقَّةِ وشدَّةِ الزمانِ وكثرةِ العدوّ الذي يَصمُد له ليتأَهب الناسُ لذلك أهبته. ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنيةِ الوداع.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري.

وذكر عبدالعزيز بن محمد الدراوردي أَن النبيّ صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة مَخْرَجَهُ إلى تبوك سباعَ بن عُرْفُطَةَ.

قال ابن إسحاق (٢: ٥١٩): وضرب عبدالله بن أُبيّ معه على حِدَةٍ عسكره، أَسفل منه نحو ذُباب، وكان فيما يذكرون ليس بأَقلّ العسكرين، فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلَّف عنه عبدالله بن أُبي فيمن تخلَّفَ من المنافقين وأَهلِ الريب، وخلَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أَبي طالب على أَهله، وأَمره بالإقامة فيهم، فأَرجف به المنافقون فقالوا: ما خلَّفه إلا استثقالاً له، وتخفّفاً منه، فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب سلاحه، ثم خرج حتى أَتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازلٌ بالجُرُف[1]، فقال يا نبيّ الله، زعم المنافقون

---

(١) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

أَنك استثقلتني وتخففت مني، فقال: كذبوا، ولكني خلفتك لما تركتُ ورائي، فارجع فاخلفني في أَهلي وأَهلك، أَفلا ترضى يا عليّ أَن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إِلا أَنه لا نبيَّ بعدي. فرجع علي بن أَبي طالب إِلى المدينة، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره. انتهى.

وروى النسائي رحمه الله تعالى عن سعد بن أَبي وقاص رضي الله تعالى عنه، قال: لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك خلَّف علياً في المدينة، فقالوا فيه: ملَّه وكَرِهَ صحبته، فتبع علي النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى لحقه بالطريق، قال: يا رسول الله خلفتني بالمدينة مع الذراري والنساء حتى قالوا: ملَّه وكره صحبته، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إنما خلفتك على أَهلي، أَما ترضى أَن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أَنه لا نبيّ بعدي. انتهى.

تنبيه:

قد تقدم ذكر علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في باب القاضي[1] فأَغنى عن الإِعادة هنا.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأولى: الفارابي (٣:٢٦) الشقة: السفرُ البعيد، وفيها لغتان ضمّ الشين وكسرها.

الثانية: الفارابي صمَد يصمُد ـ بفتح الميم في الماضي وضمها في المستقبل ـ صمداً: قصد.

الثالثة: قال البكري (٦٠٩): «ذُبَاب» بضم الذَّال المعجمة على لفظ الواحد من الذِّبَّان: جبل بجّبانةِ المدينة أَسفلَ من ثنيّةِ المدينة.

•

(١) انظر ما تقدم ص: ٢٧٣ ـ ٢٧٩.

الباب الرابع
في المستنفر

ذكر من بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مستنفراً، وهو بسر بن سفيان الخزاعي، وذكر نسبه وأخباره:

في «الروض الأُنف» (٦: ٤٧٦ ـ ٤٧٧) بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بديل بن أُم أَصْرم ـ وهو بُدَيل بن سَلَمة ـ إلى خزاعةَ يستنفرهم إلى قتال أَهل مكة عامَ الفتح؛ ذكره في الكلام على خبر الحديبية. انتهى.

وفي الاستيعاب (١٦٦): بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي: أَسلم سنة ستّ من الهجرة، وبعثه النبيّ صلى الله عليه وسلم عيناً إلى قريش إلى مكة، وشهد الحديبية، وهو المذكور في حديث الحديبية من رواية الزهري عن عروة عن المسْوَر ومروان وقوله فيه حتى إذا كان بغديرِ الأَشطاط لقيه عينه الخزاعي فأَخبره خبرَ قريش وجموعهم. قالوا: هو بسر بن سفيان هذا. انتهى.

وفي «السير» (٢: ٣٠٩): أنه لقي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعُسفَان، وقال فيه: بشر بن سفيان الكعبي، قال ابن هشام: ويقال بُسْر. انتهى.

وفي «الاستيعاب» (١٥١) بُـدَيْل بن أُم أَصرم، أَحدُ المنسوبين إلى أُمهاتهم، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني كعب يستنفرهم لغزو مكة هـو وبسر بن سفيان الخزاعي.

فائدتان لغويتان:

الأولى: في «الصحاح» (٢: ٨٣٣) نفر القوم في الأمر نفوراً، والنفير: القوم الذين يتقدمون فيه. انتهى.

واستنفرت: استفعلت منه.

قال الفارابي (٢: ٤٣٦) بناء هذا الباب أَن يكون بمعنى سؤال الفعل وطلبه، كقولك: استعجلته أَي طلبت عجلته.

الثانية: «غدير الأَشْطاط» في «المشارق» (١: ٥٨ ـ ٥٩) بفتح الهمزة وإسكان الشين بعده طاء مهملة وألف وطاء أُخرى، وهو تِلْقَاء الحديبية.

الباب الخامس
في صاحب اللواء
وفيه سبعة فصول

الفصل الأول
في ذكر أول لواء رُفع
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

في كتاب «أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم» (٢٤٩) لابن حيان الأصبهاني رحمه الله تعالى، عن بريدة رضي الله تعالى عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتطير، ولكن يتفاءل. وكانت قريشٌ جعلت مائةً من الإبل لمن يأْخذ نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم فيرده عليهم حين توجه إلى المدينة، فأقبل بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم، فلقوا نبيَّ الله ليلاً، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: من أنت؟ قال: أنا بريدة، فالتفت إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر برد أمرنا وصلح، قال: ثم ممن؟ قال: من أسلم، قال: سلمنا، قال: ثم ممن؟ قال: من بني سهم، قال خرج سهمك، فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم: فمن أنت؟ قال: أنا محمد بن عبدالله رسول الله، قال بريدة: أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأنك عبده ورسوله، قال: فأسلم بريدة وأسلم الذين معه جميعاً، فلما أن أصبح قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لا تدخل المدينة إلاَّ ومعك لواء، قال: فحلَّ عمامته ثم شدَّها في رمح، ثم مشى بين يديه حتى دخل المدينة. انتهى.

الفصل الثاني
في ذكر نسب بريدة وأخباره

في «الاستيعاب» (١٨٥) بريدة الأسلمي: وهو بريدة بن الحُصَيْب بن عبدالله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رِزاح بن عدي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أَسلم بن أَفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، يكنى أَبا عبدالله، وقيل أَبا سهل، وقيل أَبا الحُصَيْب، وقيل أَبا ساسان، والمشهور أَبو عبدالله. أَسلم قبل بدر ولم يشهدها، وشهد الحديبية، فكان ممن بايع بيعةَ الرضوان تحت الشجرة، وذلك أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة إلى المدينة فانتهى إلى الغميم أَتاه بريدةُ بن الحصيب فأَسلم هو ومن معه وكانوا زهاء ثمانين بيتاً، فصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاءَ فصلوا خلفه، ثم رجع بريدةُ إلى بلاد قومه وقد تعلم شيئاً من القرآن ليلتئذ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أُحد، فشهد معه مشاهده، وشهد الحديبية، وكان من ساكني المدينة، ثم تحوَّل إلى البصرة ثم خرج منها إلى خراسان غازياً.

قال أَبو عمر (١٨٥): أَخبرنا عبدالوارث بن سفيان قال، حدثنا قاسم بن أَصْبغ بسنده عن بريدة قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يتطير ولكن يتفاءل، فركب بريدة في سبعين راكباً من أَهل بيته من بني سهم، فتلقى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال له نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: من أَنت؟ قال: أَنا بريدة، فالتفت إلى أَبي بكر، فقال: يا أَبا بكر برد أَمرنا وصلح، قال: ثم قال لي: ممن؟ قلتُ: من أَسلم، قال لأبي بكر: سلمنا، ثم قال لي: من بني مَنْ؟ قلتُ من بني سهم، قال: خرج سهمك.

قال أَبو عمر رحمه الله تعالى (١٨٥): مات بريدة بمرو في إِمرة يزيد بن معاوية، وبقي ولده بها.

قال أَبو عمر رحمه الله تعالى (١٨٦): وروى البخاري رحمه الله تعالى بسنده عن عبدالله بن مسلم الأسلمي من أَهل مرو قال: سمعتُ عبدالله بن بريدة يقول:

مات والدي بمرو وقبره «بالجِصِّين»، وهو قائد أَهل المشرق ونورهم، لأن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: أَيما رجل مات من أَصحابي ببلدة فهو قائدهم ونورهم يومَ القيامة. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «المشارق» (١: ٢٢٤) حُصَيب والد بريدة بصادٍ مهملة مفتوحة مصغر، وآخره باءٌ بواحدة، وحاؤه مضمومة، وقد صحَّفه بعضُ الأئمة قديماً، فقاله بالخاء المعجمة المفتوحة.

الثانية: «الجِصِّين» بكسر الجيم بعده صاد مهملة مشدّدة على وزن «فِعِّيل»: موضعٌ بمرْو من خراسان، قاله البكري (٣٨٤).

الفصل الثالث
في ذكر من حمل رايته ولواءه صلى الله عليه وسلم بين يديه، ومن حملها ليقاتلَ بها

١ ـ ٣: فمنهم أَبو بكر وعمر وعلي رضي الله تعالى عنهم: ذَكَر ابن إسحاق في «السير» (٢: ٣٢٨) رحمه الله تعالى في أَخبار غزوة خيبر: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر في بقية المحرم، يعني من سنة سبع، ودفع الراية إلى عليّ بن أَبي طالب وكانت بيضاء.

قال ابن إسحاق (٢: ٣٣٢): ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم ما افتتح انتهى إلى حصنهم «الوَطيح» وكان آخرَ حصونِ أَهل خيبر افتتاحاً.

قال ابن إسحاق (٢: ٣٣٤ ـ ٣٣٥): وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبا بكر الصديق برايته إلى بعضِ حصون خيبر، فقاتل ورجع ولم يكُ فتحٌ، وقد جهد، ثم بعث من الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع، ولم يك فتح وقد جهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله

يفتحُ الله على يديه ليس بفرَّار. قال، يقول سلمة: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وهو أرمد، فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، ثم قال: خذ الراية فامضِ بها حتى يفتح الله عليك. قال، يقول سلمة: فخرج والله بها يَأْنِح، يهرول هرولة، وإنا لخلفه نتبعُ أثره حتى ركز رايته في رُضْم حجارةٍ تحت الحصن، فاطلع إليه يهوديٌ من رأس الحصن فقال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، قال، يقول اليهودي: علوتم وما أُنزل على موسى، أو كما قال. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: جَهَد الرجل يجهدَ بفتح الهاء في الماضي والمستقبل؛ قاله الفارابي، وزاد ابن طريف: وأَجهد في الأمر: بلغ فيه الجهد.

الثانية: في «المحكم» (٣:٣١٤) أَنَح يأْنِحُ أَنْحاً، وأَنيحاً [وأنوحاً] وهو مثل الزفير يكون من الغضب ومن الغيرة[1].

وقال الفارابي (٤:٢٠١) بالفتح في الماضي والكسر في المستقبل.

٤ ـ **ومنهم الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه**: روى البخاري (٥:١٨٦) رحمه الله تعالى عن هشام عن أَبيه: لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً، خرج أَبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عيه وسلم، الحديثَ بكماله؛ وفيه: ثم جاءت كتيبةٌ وهي أَقل الكتائب، فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأَصحابُه، ورايةُ النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام. انتهى.

٥ ـ **ومنهم**[2] **مصعب بن عمير**: قال ابن إسحاق في «السير» (١:٦١٢) دفع

---

(١) المحكم: يكون من الغم والبطنة والسكر.

(٢) من هنا حتى قوله: وكان أبيض: سقط من م.

رسول الله صلى الله عيه وسلم اللواء يوم غزوة بدر الكبرى إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار.

قال ابن هشام: وكان أبيض.

٦ ــ **ومنهم سعد بن معاذ**: قال ابن إسحاق في «السير» (١: ٦١٢ ــ ٦١٣) في أخبار غزوة بدر الكبرى: وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان: إحداهما مع علي بن أبي طالب، والأخرى مع بعض الأنصار.

قال ابن هشام: كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ. انتهى.

٧ ــ **ومنهم سعد بن عبادة**: قال ابن إسحاق (٢: ٤٠٦ ــ ٤٠٧) في أخبار يوم الفتح: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء. قال ابن إسحاق: فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلاً قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمَة، فسمعه رجلٌ من المهاجرين. قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله: اسمع ما قال سعد بن عبادة، ما نأْمَنُ أن يكونَ له في قريش صولة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب: أدْرِكه فخذِ الرايةَ فكن أنت الذي تدخل بها.

وذكر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٥٩٨) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الراية حين انتزعها من يده لولده قيس، قال: وقيل أعطاها للزبير، وقيل أعطاها لعلي، وسيأتي ذلك مبسوطاً عند ذكر ولده قيس.

٨ ــ **ومنهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري**: روى البخاري (٤: ٦٤) رحمه الله تعالى عن ثعلبة بن أبي مالك القرظي أن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم، أراد الحج فرجَّلَ.

وقال أبو عمر بن عبدالبر في «الاستيعاب» (١٢٨٩): وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم فتح مكة إذ نزعها من أبيه لشكوى قريش يومئذٍ.

(٥٩٧) وكانت الرايةُ يومَ الفتح بيد سعد بن عبادة، فلما مرَّ بها على أبي سفيان

ـ وقد كان أَسلم أَبو سفيان ـ فقال سعدٌ إِذ نظر إليه: اليوَم يومُ الملحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحرمة، اليومَ أَذلَّ الله قريشاً، فأَقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في كتيبة الأَنصار حتى إِذا حاذى أَبا سفيان، ناداه يا رسولَ الله: أَمرت بقتل قومك، فإنه زعم سعد ومن معه حين مرَّ بنا: أَنه قاتِلُنا، وقال: اليومَ يومُ الملحمة، اليومَ تستحلّ الحرمة، اليوم أَذلّ الله قريشاً، وإِني أَنشدك الله تعالى في قومك فأَنت أَبرُّ الناس وأَرحمهم وأوصلهم. وقال عثمان وعبدالرحمن بن عوف، رضي الله تعالى عنهما: يا رسول الله ما نأْمن سعداً أَن تكون له في قريش صَوْلَةٌ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أَبا سفيان اليوم يوم المرحمة، اليوم أَعزَّ الله قريشاً.

(٥٩٨) وقال ضرار بن الخطاب يومئذٍ[1]: [من الخفيف]

يا نبيَّ الهدى إِليكَ لجَا ... حَيُّ قريش[2] ولات حين لجاءِ
إِنَّ سعداً يريد قاصمةَ الظهـ ... ـر بأَهلِ الحَجُون والبطحاءِ
خزرجيٌّ لو يستطيعُ من الغيـ ... ـظ رمانا بالنَّسْرِ والعَوَّاءِ
وَغِرُ الصَّدْرِ لا يهمُّ بشيءٍ ... غير سفكِ الدما وسبيِ النساءِ
إِذ ينادي بذلِّ حيِّ قريشٍ ... وابن حرب بدا من الشهداءِ
فلئن أَقحمَ اللواءَ ونادى ... يا حماةَ اللِّواء أَهلَ اللِّواءِ
ثم ثابتْ إِليه من بُهَمِ الخز ... رج والأَوسِ أَنجمُ الهيجاءِ
لتكونَنَّ بالبطاح قريشٌ ... فقعةَ القاعِ في أَكفِّ الإِماءِ
فانْهَيْنَهُ فإِنه أَسَدُ الأَز ... دِ[3] لدى الغابِ والغُ في الدماءِ
إِنه مُطْرِقٌ يدير[4] لنا الأَمـ ... ـرَ سَكُوتاً كالحيَّةِ الصَّمَاءِ

فأَرسل سول الله صلى الله عليه وسلم إِلى سعدٍ ونزع اللواءَ من يده وجعله بيد قيس ابنه، ورأَى رسول الله صلى الله عليه وسلم أَن اللواء لم يخرجْ عنه إِذ صار إِلى

---

(١) الأبيات أيضاً في عيون الأثر ٢: ١٧٢ ونهاية الارب ١٧: ٣٠٤.
(٢) م ط: إليك لجائي في قريش.
(٣) يروى أيضاً: فإنه أسد الأسْدِ.
(٤) ط: يريد.

ابنه، وأَبـى سعدٌ أَن يسلم اللواءَ إلا بأَمارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأَرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامته فعرفها سعد، فدفع اللواء إلى ابنه قيس، هكذا ذكر يحيى بن سعيد الأُموي في «السير» ولم يذكر ابن إسحاق هذا الشعر ولا ساق هذا الخبر. وقد روي أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَعطى الراية الزبير إذ نزعها من سعد. وروي أَيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمر علياً فأَخذ الراية فذهب بها حتى دخل مكة فغرزها عند الركن. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «المشارق» (١: ٢٢١) الحَجُون بفتح الحاء وضم الجيم وتخفيفها: الجبلُ المشرفُ حذاءَ مسجدِ العقبة عند المُحَصَّب. قال الزبير: الحَجُون: مقبرة أَهل مكة تجاه دارِ أَبـي موسى الأَشعري.

الثانية: الوغرة: شدة توقد الحر، ومنه قيل: في صدره علـيَّ وَغْرٌ بالتسكين، أَي ضغن وعداوة وتوقدٌ من الغيظ، والمصدر بالتحريك، تقول: وَغِرَ صدرُه علـيَّ يَوْغَرُ وَغراً فهو واغر الصدر علـيَّ، وقد أَوغرت صدره على فلانٍ أَي أحميته من الغيظ.

الفصل الرابع
في ذكر أنسابهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ــ قد تقدم ذكر أَبـي بكر رضي الله تعالى عنه في باب الخليفة.

٢ ــ وذكر عمر رضي الله تعالى عنه في باب الوزارة.

٣ ــ وذكر علي رضي الله تعالى عنه في باب القضاء.

٤ ــ ويأْتي ذكر الزبير رضي الله تعالى عنه في باب الزكاة.

٥ ــ وتقدم ذكر مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه في باب مقرىء القرآن، وسأذكر الآن سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وقيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهم.

٦ ــ **سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (٦٠٢): سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبدالأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت، وهو عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، يكنى أبا عمرو. أسلم بالمدينة بين العقبة الأُولى والثانية على يد مصعب بن عمير، وشهد بدراً وأُحداً والخندق ورمي يومَ الخندق بسهم فعاش شهراً، ثم انتقض جرحُهُ فمات منه، رماه حِبَّان ابن العَرِقَة وقال: خذها وأنَا ابن العرقة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عرق الله وجهه في النار.

وروى الليث عن أبي الزبير عن جابر قال: رُمِيَ يومَ الأحزاب فَقُطِعَ أكحله فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانتفخت يده ونزفه الدم، فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تُخْرج نفسي حتى تُقِرَّ عيني في بني قريظة، فاستمسك عرقُهُ فما قَطَرَ منه قطرةٌ حتى نزل بنو قريظة على حكمه، وكان حكمه فيهم: أن يُقْتَلَ رجالهم وتُسْبَى نساؤهم وذريتهم يستعين به المسلمون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَصبتَ حُكْمَ الله فيهم؛ وكانوا أربمائة، فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقُهُ فمات.

وروي من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لقد نزل من الملائكة في جنازة سعد بن معاذ سبعون ألفاً ما وطئوا الأرض قبل.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اهتز العرشُ لموتِ سعد بن معاذ.

وقال صلى الله عليه وسلم في حُلَّةٍ رآها سيراء: لَمِنديلٌ من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خيرٌ منها.

وقال سعد رضي الله عنه: ثلاث أنا فيهن رجل، يعني كما ينبغي، وما سوى ذلك فأنا رجل من الناس: ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً قط إلا علمتُ أنه حقّ من الله، ولا كنتُ في صلاةٍ قط فشغلت نفسي بغيرها حتى

أَقضيها، ولا كنت في جنازة قط فحدثت نفسي بغير ما تقول ويقال لها حتى أَنصرفَ عنها.

قال سعيد بن المسيب: هذه الخصال ما كنت أَحسبها إلا في نبيّ.

قال أَبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى: توفي سعد سنةَ خمسٍ من الهجرة، وكان موته بعدَ الخندق بشهر وبعد قريظةَ بليالٍ. انتهى.

وقال ابن إسحاق في «السير» (٢: ٢٥٢): وقالت أُم سعد حين احتُمِلَ نعشه، قال ابن عبدالبر: هي كبشة بنت رافع، لها رضي الله تعالى عنها صحبة[1]: [من الرجز]

ويلُ أُمِّ سعدٍ سعدا صرامةً وحدّا
وسؤْدداً ومجدا وفارساً معدا
سدَّ به مسدا يَقدُّ هاماً قدَّا

قال: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلُّ نائحةٍ تكذب إلا نائحةَ سعد بن معاذ.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: حِبَّان بن العَرِقَة بكسر الحاءِ المهملة وتشديد الباء بواحدة ضبطه الحافظ أبو علي الغساني رحمه الله بخطه.

الثانية: العَرِقَة بعين مفتوحة وراء مكسورة مهملتان بعدهما القاف وتاء التأْنيث؛ قال أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٦٠٣) وإنما قيل لها العرقة لطيب عرقها.

الثالثة: في «المشارق» (١: ١٩٥ ـ ١٩٦) حُلّة سِيرَاء بكسر السين وفتح الياء ممدود، بعضهم يجعله نعتاً، قال الخطابي: كما قيل: ناقة عشراءُ، وكان أَبو مروان

---

(١) الشطران الأول والثاني في أسد الغابة ٥: ٥٣٧ والإصابة ٨: ١٧٥ وسير الذهبي ١: ٢٨٦، ٢٨٧.

ابن سراج ينكره ويضبطه على الإضافة، وهي أثواب ذواتُ ألوانٍ وخطوط يخالطها حرير. قال الخليل وغيره: هو ثوب مضلَّعٌ بالحرير، وقيل: الأشبه أنه مختلف الألوان. وقال مالك: السيراءُ وشيءٌ من حرير. قال ابن الأنباري: والسيراءُ أيضاً: الذهب، وقيل: هو الحرير الصافي، والحلة ثوبان غير لفقين، رداءٌ وإزار، سمّيا بذلك لأنه يحلّ كلُّ واحدٍ منهما على الآخر.

قال الخليل: ولا يقال حُلَّة لثوب واحد. وقال أبو عبيد: الحُلَلُ: بُرودُ اليمن. وقال بعضهم: إنما تكونُ حُلَّةً إذا كانت جديدة لحلها عن طيها، والأول أكثر وأشهر. وفي الحديث: أنه رأى رجلاً عليه حلة ائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر فهذا يدل على أنهما ثوبان.

٧ ــ **سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه**: في الاستيعاب (٥٩٤): سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي حليمة، ويقال ابن أبي حزيمة، بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، يكنى أبا ثابت، وقيل أبا قيس، والأول أصح. كان نقيباً شهد العقبة، وشهد بدراً في قول بعضهم، ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدريين، وذكره غيرهما[1]. وفي سعد بن عبادة وسعد بن معاذ جاء الخبر المأثور: إن قريشاً سمعوا صائحاً يصيح ليلاً على أبي قبيس[2]:

فإن يسلم السعدان يصبح محمدٌ بمكةَ لا يخشى خلافَ المخالفِ

قال فظنت قريش أنهما سعد بن زيد مناة بن تميم، وسعد بن هذيم من قضاعة، فلما كان الليلة الثانية سمعوا على أبي قبيس:

أيا سعدُ سعدَ الأوسِ كُنْ أنت ناصراً ويا سعدُ سعدَ الخزرجين الغطارفِ

---

(١) ذكر البخاري في تاريخه أنه شهد بدراً وتابعه ابن مندة (انظر سير الذهبي ١: ٢٧١).
(٢) قارن بسير الذهبي ١: ٢٧٩.

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا على الله في الفردوس منيةَ عارف
فإن ثوابَ الله للطالبِ الهـدى جنانٌ من الفردوسِ ذاتُ رفارف

فقالوا: هذان والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة.

قال أبو عمر رحمه الله تعالى (٥٩٦) وإليهما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق دون سائر الأنصار لأنهما كانا سيدي قومهما: كان سعد بن معاذ سيدَ الأوس، وسعد بن عبادة سيدَ الخزرج، فشاورهما فيما أراد أن يعطيه عيينةَ بن حصن من تمر المدينة لينصرفَ بمن معه من غَطَفان ويخذِّلَ الأحزاب، فقالا: يا رسولَ الله إن كنت أُمرت بشيءٍ فافعله وامض له، وإن كان غيرَ ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم أُومر بشيء، ولو أُمرت بشيءٍ ما شاورتكما، إنما هو رأي أعرضه عليكما، فقالا: والله يا رسول الله ما طمعوا بذلك منا قطُّ في الجاهلية، فكيف اليومَ وقد هدانا الله بكَ وأكرمنا وأيَّدنا، والله لا نعطيهم إلا السيف، فَسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهما، وقال لعيينة بن حصن ومن معه: ارجعوا فليس بيننا وبينكم إلا السيف. انتهى.

قلت: وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بيده ثم انتزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم من يده ودفعها لقيس ولده، وقيل لعلي بن أبي طالب في قصة تقدمت مستوفاة في الفصل الثالث عند ذكر ولده قيس.

وقال أبو عمر ابن عبدالبر (٥٩٥) كان سعد سيداً في الأنصار، مقدماً وجيهاً، له رياسةٌ وسيادةٌ يعترف له قومه بها. يقال إنه لم يكن في الأوس والخزرج أربعة مطعمون متتالون في بيت واحد إلا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم. وعن نافع قال: مرَّ ابنُ عمر على أُطُم سعد فقال لي: يا نافعُ هذا أُطم جده لقد كان مناديه ينادي يوماً في كلِّ حول من أراد الشحم واللحم فليأت دار دليم، فمات دليم فنادى منادي عبادةَ بمثل ذلك، ثم مات عبادة، فنادى منادي سعدٍ بمثل ذلك، ثم قد رأيتُ قيس بن سعد يفعل ذلك.

قال أَبو عمر (٥٩٩): وتخلف سعد بن عبادة عن بيعة أبي بكر، وخرج من المدينة ولم ينْصرف إليها إلى أَن مات بحَوْران من أَرض الشام لسنتين ونصف مضتا من خلافة عمر، وذلك سنة خمس عشرة، وقيل سنة أَربع، وقيل بل مات سعد في خلافة أَبي بكر سنة إِحدى عشرة، ولم يختلفوا أَنه وجد ميتاً في مغتسله وقد اخضرَّ جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول، ولا يرون أَحداً[1]:

[من مجزوء الرمل]

قتلنا سيدَ الخز رج سعدَ بن عبادهْ
رميناه بسهمين فلم نُخْطِ فؤاده

ويقال إِن الجن قتلته؛ روى ابن جريج عن عطاء أَنه قال: سمعتُ الجنَّ قالت في سعد بن عبادة فذكر البيتين.

فائدة لغوية:

الأُطُم بضم الطاء وتسكينها والهمزة مضمومة في اللغتين: الحصن، والجمع آطام؛ قاله الجوهري، قال: وهي حصون لأهل المدينة، والواحدة أَطمة مثل أَكمة. وفي «المحكم» الجمع القليل: آطام، والكثير: أُطوم. قال ابن الأعرابي: الأُطوم: القصور.

٨ ــ **قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه: في الاستيعاب (١٢٨٩):** قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي، قد نسبنا أَباه في بابه، فأَغنى عن الرفع في نسبه هنا، يكنى أَبا الفضل، وقيل أَبا عبدالله، وقيل: أَبا عبدالملك. قال الواقدي: كان قيس بن سعد بن عبادة من كرام أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَسخيائهم ودهاتهم.

قال أَبو عمر: كان شريفَ قومه غيرَ مدافَع هو وأَبوه وجده، وصحب قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأَبوه وأَخوه سعيد بن سعد بن عبادة، وأَعطاه

---

(١) يمر الشعر حيثما وردت ترجمة سعد بن عبادة في المصادر، انظر سير الذهبي ١: ٢٧٧، ٢٧٨ وفي البيتين زحاف بيّن، على اختلاف في روايتهما.

رسول الله صلى الله عليه وسلم الرايةَ يومَ فتح مكة إذ نزعها من أبيه لشكوى قريشٍ سعداً يومئذٍ. وقد قيل إنه أعطاها الزبير، وقيل إنه أعطاها علياً رضي الله تعالى عن الجميع.

وعن جابر قال: خرجنا في بعث كان عليهم قيس بن سعد، فنحر لهم تسعَ ركائب، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك من فعل قيس بن سعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الجودَ شيمةُ[1] أهلِ ذلك البيت.

(١٢٨٩) ثم صحب قيس بن سعد علي بن أبي طالب، وشهد الجمل وصفين والنهروان هو وقومه، ولم يفارقه حتى قتل.

(١٢٩٢) وهو القائل في صفين: [من البسيط]

هذا اللواءُ الذي كنّا نحفُّ به ... مع النبي وجبريلٌ لنا مَدَدُ
ما ضرَّ من كانت الأنصار عِيْبَتَهُ ... أن لا يكونَ له من غيرهم أحدُ
قومٌ إذا حاربوا طالت أكفُّهمُ ... بالمشرفيّةِ حتى يُفْتَحَ البلد

(١٢٩٠، ١٢٩١) ولما أجمع الحسنُ على مبايعة معاويةَ خرج عن عسكره وغضب على الحسن، وبدر منه فيه قولٌ خَشِنٌ أخرجه الغضب، فاجتمع إليه قومُهُ وكانوا خَمسَةَ آلاف قد حلقوا رؤوسهم بعدما مات علي رحمه الله وتبايعوا على الموت، فلما دخل الحسن في بيعة معاوية أبى قيسٌ أن يدخل وقال لأصحابه: ماشئتم، إن شئتم جالدتُ بكم أبداً، وإن شئتم أخذتُ لكم أماناً، فقالوا: خُذْ لنا أماناً، فأخذ لهم: أنَّ لهم كذا وكذا، وألا يُعاقَبُوا بشيء، وأنه رجل منهم، ولم يأْخذْ لنفسه خاصة شيئاً، والتزم لهم معاويةُ الوفاءَ بما شرطوه، ثم لزم قيسٌ المدينة وأقبل على العبادة حتى مات بها سنة ستين، وقيل سنة تسع وخمسين، في آخر خلافة معاوية.

---

(١) ط والاستيعاب: من شيمة.

(١٢٩٢) وهو معدود في المدنيين، وكان رجلاً طُوالاً سِناطاً لم يكن في وجهه شعرة ولا شيءٌ من لحية، وكان مع ذلك جميلاً، رحمه الله تعالى ورضي عنه، وكانت الأنصار تقول: لوددنا أن نشتري لقيس بن سعد لحيةً بأموالنا. ومن أخباره في الكرم أن رجلاً استقرض منه ثلاثين ألفاً، فلما ردَّها إليه أبى أن يقبلها وقال: إنا لا نعودُ في شيءٍ أعطيناه.

(١٢٩٣)[١] وكان له مالٌ كثيرٌ ديوناً على الناس، فمرض واستبطأ عُوَّادَهُ، فقيل له: إنهم يستحيون من أجلِ دينك، فأمر منادياً فنادى من كان لقيس بن سعد عليه دَيْنٌ فهو له، فأتاه الناس حتى هدموا درجة كانوا يصعدون عليها إليه.

(١٢٩٢)[٢] وتوفي أبوه عن حَمْلٍ لم يَعْلَمْ به، فلما وُلِدَ وقد كان سعدٌ قسم ماله حين خروجه من المدينة، فكلم أبو بكر وعمر في ذلك قيساً، وسألاه أن ينقض ما صنع سعد من تلك القسمة، فقال: نصيبي للمولود ولا أغيّر ما صنع أبي ولا أنقضه.

قال أبو عمر (١٢٩٢)[٣]: وقصَّته مع العجوز التي شكت إليه أنه ليس في بيتها جُرَذٌ، فقال لها: ما أحسنَ ما سَأَلتِ، أما والله لأكثّرنَّ من جرذان بيتك، فملأ بيتها طعاماً وودكاً وأداماً صحيحة.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «المحكم» السِّناط والسُّناط والسُّنُوط كله: الذي لا لحية له، وقيل: هو الذي لا شعر في وجهه البتة، وقد سنُط فيهن. وفي «الأفعال» لابن طريف: سَنُطَ وسَنِط بضم النون وكسرها سنَطاً: لم ينبت له لحية فهو سِناط.

---

(١) القصة في البصائر ٤: ٢٩٨ والصداقة والصديق: ٢٣ والمستجاد: ١٧٦ وسراج الملوك: ١٥٥ ولباب الآداب: ١٠٩ والتذكرة الحمدونية ٢ رقم: ٧٠٦ وسير الذهبي ٣: ١٠٧ وربيع الأبرار: ٣٤١/أ والمستطرف ١: ١٥٨.

(٢) الخبر في الكامل للمبرد ٢: ١١٦ والتذكرة الحمدونية ٢ رقم: ٢٠٦ وسير الذهبي ٣: ١٠٧.

(٣) قصة تتردد في المصادر الأدبية، وانظر سير الذهبي ٣: ١٠٦.

الثانية: الجِرذان بكسر الجيم وسكون الراء وفتح الذال المعجمة وبعدها ألف ونون جمعُ جُرَذ بضم الجيم وفتح الراءِ. قال الفارابي (١:٢٥٣) الجُرَذ بضمّ الفاء وفتح العين واحد الجرذان. قال الجوهري (٢:٥٦١) وهو ضربٌ من الفأر، وأَرض جَرِذةٌ ذاتُ جرذان.

الفصل الخامس
في جواز القبائل على راياتهم
وانفراد كلِّ قبيلةٍ برايتها

روى البخاري (٥:١٨٦) رحمه الله تعالى عن هشام بن عروة عن أَبيه رضي الله تعالى عنه: لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً، خرج أَبو سفيان وحكيم بن حزام وبُدَيْل بن ورقاء يلتمسون الخبرَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَقبلوا يسيرون حتى أَتوا مرَّ الظهْران فإذا هم بنيران كأَنها نيرانُ عَرَفة، فقال أَبو سفيان: ما هذه؟ لكأَنها نيرانُ عرفة، فقال بُدَيْل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أَبو سفيان: عمرٌو أَقلُّ من ذلك، فرآهم ناسٌ من حَرَسِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَدركوهم فأَخذوهم فأَتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَسلم أَبو سفيان فلما سار قال للعباس: احبس أَبا سفيان عند خَطْم الجبل حتى ينظرَ إلى المسلمين، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمرُّ مع النبي صلى الله عليه وسلم، تمر كتيبة كتيبة على أَبي سفيان، فمرت كتيبةُ فقال: يا عباس من هذه؟ قال: هذه غفار، قال: ومالي ولغفار، ثم مرت جهينة، قال: مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هُذَيم، فقال مثل ذلك، ثم مرت سُلَيم فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هذه الأَنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال سعد بن عبادة: يا أَبا سفيان اليومَ يومُ الملحمة، اليومَ تُسْتَحَلُّ الكعبة، فقال أَبو سفيان: يا عباس حبّذا يوم الذِّمار، ثم جاءت كتيبةٌ وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَصحابه وراية النبي عليه السلام مع الزبير، وساق الحديث.

وذكر ابن إسحاق في «السير» (٢: ٤٠٣ ـ ٤٠٤) عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله تعالى عنه قال: لما ذهب أبو سفيان لينصرفَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمرَّ جنودُ الله فيراها. قال: فخرجتُ حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أَمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أَن أحبسه، قال: ومرت القبائل على راياتها، كلَّما مرت قبيلة قال: يا عباس مَنْ هؤلاء؟ فأَقول: سُلَيْم، فيقول: مالي ولسليم، ثم تمر قبيلة، فيقول: يا عباس من هؤلاء؟ فأَقول: مُزَينة، فيقول: مالي ولمزينة، حتى نفدت القبائل، ما تمر قبيلة إلا سأَلني عنها، فإذا أَخبرته بهم قال مالي: ولبني فلان، حتى مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء.

قال ابن هشام: وإنما قيل لها الخضراءُ لكثرة الحديد وظهوره فيها، وأَنشد للحارث بن حلزة اليشكري[1]: [من الخفيف]

ثُمَّ حجراً أَعْنِي ابنَ أُمِّ قَطامٍ ... ولَهُ فارسيَّةٌ خضراءُ

ولحسان بن ثابت الأَنصاري[2]: [من الكامل]

لما رأَى بدراً تسيلُ جِلاهُهُ ... بكتيبةٍ خضراءَ من بَلْخَزْرَجِ

قال ابن إسحاق: فيها المهاجرون والأَنصار لا يُرَى منهم إلا الحدقُ من الحديد، قال: سبحانَ الله يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلتُ هذا رسول الله في المهاجرين والأَنصار، قال: ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة، والله يا أَبا الفضل لقد أَصبح مُلْكُ ابنِ أَخيك الغداةَ عظيماً، قال: قلتُ: يا أَبا سفيان إنها النبوةُ، قال: فنعم إذن. انتهى.

---

(١) البيت: ٧٥ من معلقته (شرح القصائد السبع لابن الأنباري: ٤٩٦)؛ وفيه يتحدث عن غزو حجر ومعه كندة لامرىء القيس اللخمي، وكيف وقفت بكر بن وائل مع قيس وصدت حجراً، والفارسية الخضراء: الكتيبة الكثيفة، سماها فارسية لأن سلاحها من صنع فارس.

(٢) البيت في ديوان حسان ١: ١٨٧ وروايته فيه:

لما رأى بدراً تسيل جلاهها ... بكتائب ملأوسِ أو ملخزرج

وأنشد للحارث بن حلزة اليشكري يذكر انفراد كلِّ قبيلة برايتها وذلك في الجاهلية: [من الخفيف]

آيــةٌ شـارقُ الشقيقــة إذ جـا ءُوا جميعاً لكلِّ حيّ لِـواءُ[1]

فوائد لغوية في أربع مسائل:

الأُولى: في «المشارق» (١: ١٣٩ ـ ١٤٠) خطم بالخاءِ المعجمة، والجبل بفتح الجيم والباء الموحدة بعدها؛ كذا رواه القابسي، وكذا ذكره أهل السير، وخَطْمُ الجبل: طرفه وأَنفُهُ السائلُ وهو الكراع، ورواه سائر الرواة: حَطْم بحاءٍ مهملة، والخيل بخاءٍ معجمة وياءٍ باثنتين تحتها، أَي حيث تجتمع ويحطمُ بعضها بعضاً لاجتماعها، والأَوَّل أَشهرُ وأَشبهُ بالمراد، وحبسه هناك حيث يضيقُ الطريق وتمرُّ جنود الله على هيئتها، وشيئاً بعد شيء، فتعظم في عينيه، وأَما الانحطام فليس يختصُّ به هذا الموضع ولا هو المراد به، وأَكثر ما يوصف ذلك في المعارك.

قلت: ويعضد ما اختاره القاضي رحمه الله تعالى قوله في رواية ابن إسحاق: حبسه بمضيق الوالدي عند خَطْم الجبل.

الثانية: في «المشارق» (١: ٣٥٥) اليوم يوم الملحمة، ملاحم القتال: مواضعه.

الثالثة: في «المشارق» (١: ٢٧٠) «الذمار» بكسر الذال: ما يجب على المرء حفظُهُ وحمايته، ومعنى حبذا يومُ الذمار أَي ما أَوفقَهُ لحمايته وأَحبه لأهله.

الرابعة: في «الديوان» (١: ٢٦٥) يقال: مالي به قِبَلٌ أي طاقة، بكسر القاف وفتح الباء.

---

(١) البيت: ٦٩ من معلقته (شرح السبع الطوال: ٤٩٣) وشارق الشقيقة: بنو الشقيقة، قوم من بني شيبان أغاروا على إبل لعمرو بن هند بقيادة قيس بن معد يكرب فتصدت لهم بنو يشكر وردتهم.

الفصل السادس
في عقده صلى الله عليه وسلم لِأمراء البعوث والسرايا وذكر أَول رايةٍ عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام، ولمن عقدت، وأَنسابهم وأَخبارهم

ذكر أول راية عقدت ولمن عقدت[1]:

قال ابن إسحاق في «السير» (١: ٥٩١ ـ ٥٩٢) أَقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من غزوة الأَبواء بالمدينة بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول، يعني من السنة الثانية من الهجرة، وبعث مقامه ذلك بالمدينة عُبَيْدة بنَ الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين أَو ثمانين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأَنصار أَحد، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأَسفل ثنيَّة المرَة، فلقي بها جمعاً عظيماً من قريش فلم يكن بينهم قتال، إلا أَن سعد بن أَبي وقاص رضي الله تعالى عنه قد رمى يومئذٍ بسهم، فكان أَولَ سهمٍ رُمي به في الإسلام ثم انصرف القوم عن القوم.

قال ابن إسحاق (١: ٥٩٥ ـ ٥٩٦): فكانت راية عبيدة ـ فيما بلغنا ـ أَولَ رايةٍ عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدٍ من المسلمين، وبعضُ العلماء يزعمُ أَنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أَقبل من الأَبواء، وقبل أَن يصلَ إلى المدينة، وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم إلى سيفِ البحر من ناحية العِيصِ في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأَنصار أَحد، فلقي أَبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أَهل مكة، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان موادعاً للفريقين جميعاً، فانصرف بعضُ القوم عن بعضٍ ولم يكنْ بينهم قتال.

قال: وبعض الناس يقول: كانت رايةُ حمزةَ أَولَ رايةٍ عقدها رسول الله صلى

---

(١) ذكر أول... عقدت: سقط من ط.

الله عليه وسلم لأحد من المسلمين، وذلك أَنَّ بَعْثَهُ وبَعْثَ عبيدةَ كانا معاً، فَشُبِّهَ ذلك على الناس، وقد زعموا أَن حمزة قد قال في ذلك شعراً يذكر فيه أَن رايته أَولُ رايةٍ عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإِن كان حمزة رضي الله تعالى عنه قد قال ذلك فقد صدق إن شاء الله تعالى، لم يكن يقولُ إِلا حقاً، والله أَعلم أَي ذلك كان.

فأَما ما سمعنا من أَهل العلم عندنا فعبيدة بن الحارث أَول من عُقِدَ له.

والذي قاله حمزة رضي الله تعالى عنه في ذلك ـ فيما يزعمون ـ قال ابن هشام: وأَكثر أَهل العلم بالشعر ينكرها لحمزة: [من الطويل]

فما برحوا حتى انتُدِبت لغارةٍ ... لهم حيثُ حلُّوا أَبتغي رايةَ الفضلِ
بـأَمـرِ رسـول الله أَول خـافق ... عليه لواء لم يكنْ لاح من قبلي
لواءٌ لديه النصرُ من ذي كرامةٍ ... إِلـه عزيـزٌ فِعْلُهُ أَفضلُ الفعـل

فوائد لغوية في خمس مسائل:

الأُولى: «الأَبواء»: في «المشارق» (١:٥٧) بفتح الهمزة وباء بواحدة ساكنة ممدودة، قرية من عمل الفَرْع من عمل المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً فيها توفيت أَم النبي صلى الله عليه وسلم.

الثانية: عُبَيْدة بن الحارث بضم العين على لفظ التصغير، قاله عبدالغني.

الثالثة: ثَنِيَّة المَرَة قال البكري (١٢٠٩): تخفيف المرأَة.

الرابعة: سيفُ البحر: ساحله، قاله أَبو ذر الخشني في «غريب السيرة» (١٥١، ٤٥٦).

الخامسة: في «غريب السير» (١٥١) لأبي ذر الخشني: العيص هنا موضع، وأصل العِيص منبتُ الشجر.

ذكر أنسابهم وأخبارهم رضي الله تعالى عنهم:

١ ـ حمزة بن عبدالمطلب رضي الله تعالى عنه: في «الاستيعاب» (٣٦٩):

حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم، عم النبي صلى الله عليه وسلم، كان يقال له أَسد الله وأَسد رسوله، يكنى أبا عمارة وأَبا يعلى، بابنيه عمارة ويعلى. أسلم في السنة الثانية من المبعث، وقيل بل كان إِسلام حمزةَ بعد دخولِ رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأَرقم في السنة السادسة من مبعثه، صلى الله عليه وسلم، وكان أَسنَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأَربع سنين، وهذا لا يصحُّ عندي، لأن الحديث الثابت أَن حمزة وعبدالله بن عبدالأَسد أَرضعتهما ثُوَيْبَة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلا أَن تكونَ أَرضعتهما في زمانين. وذكر البكائي عن ابن إِسحاق قال: كان حمزةُ أَسنَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين. قال المدائني: أَول سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمزة بن عبدالمطلب في ربيع الأَول من سنة اثنتين إِلى سيف البحر من أَرض جهينة، وخالفه ابن إِسحاق فجعلها لعبيدة بن الحارث. قال ابن إِسحاق (١: ٥٩٥): وبعضُ الناس يزعمون أَن رايةَ حمزة أَولُ رايةٍ عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان أَخا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أَرضعتهما ثويبة. ولم يدرك الإِسلام فأسلم من أَعمام النبي صلى الله عليه وسلم إِلا حمزة والعباس رضي الله تعالى عنهما.

وشهد حمزة بدراً وأَبلى فيها بلاءً حسناً مشهوراً، وقيل إِنه قتل عتبة بن ربيعة مبارزةً يوم بدر؛ قاله موسى بن عقبة، وقيل بل قتل شيبة بن ربيعة مبارزة، قاله ابن إِسحاق وغيره، وقتل يومئذٍ طعيمة بن عدي أَخا المطعم بن عدي، وقتل يومئذٍ أَيضاً سباعاً الخزاعي، وقيل بل قتله يوم أَحد قبل أَن يقتل، وشهد أُحداً بعد بدر فَقُتِلَ يومئذٍ شهيداً، قتله وحشي بن حرب الحبشي، مولى جبير بن مطعم بن عدي على رأْس اثنتين وثلاثين شهراً من الهجرة، وكان يوم قتل ابن تسعٍ وخمسين سنة، ودُفِنَ هو وابن أُخته عبدالله بن جحش في قبرٍ واحد.

وعن غير ابن إِسحاق قال: كان حمزة يقاتلُ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفين، فقال قائل: أَي أَسد! فبينا هو كذلك إِذ عثر عثرةً وقع منها على

ظهره فانكشف الدرعُ عن بطنه، فطعنه وحشي الحبشي بحربة ـ أو قال: برمح ـ فأنفذه.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: حمزة سيد الشهداء ـ وروي: خير الشهداء ـ ولولا أن تجدَ صفيةُ لتركتُ دفنه حتى يُحْشَرَ من بطونِ الطير والسباع.

قال ابن جريج[1]: مثَّل الكفارُ يومَ أحدٍ بقتلى المسلمين كلِّهم إلا حنظلةَ بن الراهب، لأن أبا عامر الراهب كان يومئذٍ مع أبي سفيان، فتركوا حنظلةَ لذلك.

ولم يمثّل بأحد ما مُثِّل بحمزة، بَقَرَتْ هند بطنه وقطعت كبده وجعلت تلوكها ثم لفظتها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو دخل بطنها لم تدخل النار، وجدعتْ أنفه وقطعت أُذنيه رضي الله تعالى عنه. وعن جابر بن عبدالله قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلاً بكى، فلما رأى ما مُثِّل به شهَقَ.

وعن أبي هريرة قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد قتل وَمُثِّلَ به، فلم ير منظراً كان أوجعَ لقلبه منه، فقال: رحمك الله أي عم، فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات، فوالله لئن أظفرني الله بالقوم لأمثلنّ بسبعين منهم قال: فما برح حتى نزلت: ﴿وإنْ عاقَبْتُم فعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ به وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابرين﴾ (النحل: ١٢٦) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل نصبر، وكفَّر عن يمينه. انتهى.

وقال ابن إسحاق في السير (٢: ٩٩): ومرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على دار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وبني ظفر فسمع البكاءَ والنوائح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى، ثم قال: لكنّ حمزة لا بواكي له. فلما رجع سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير رضي الله تعالى عنهما إلى دار بني عبدالأشهل أمرا نساءَهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عمِّ رسول الله

---

(١) ابن جريج: سقطت من م.

صلى الله عليه وسلم، ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهنَّ على حمزة خرج عليهنَّ وهن على باب مسجده يبكين عليه، فقال: ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتنَّ بأنفسكن.

وقال ابن هشام: ولما سمع بكاءهن قال صلى الله عليه وسلم: رحم الله الأنصار، فإن المواساة منهم ما علمت[1] لقديمة، مُرُوهُنَّ فلينصرفن، قال ابن هشام: ونهى يومئذٍ عن النوح. انتهى.

قال ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٣٧٤) وذكر الواقدي قال: لم تبك امرأة من الأنصار على ميت بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكن حمزة لا بواكي له إلى اليوم إلا بدأت البكاء على حمزة ثم بكتْ ميِّتَها.

وأنشد أبو زيد عمر[2] بن شبة لكعب بن مالك يرثي حمزة، وقال ابن إسحاق (٢: ١٦٢ ـ ١٦٣): هي لعبدالله بن رواحة[3]: [من الوافر]

بكتْ عيني وحقَّ لها بكاها ... وما يُغني البكاءُ ولا العويلُ
على أَسدِ الاله غداةَ قالوا ... أَحمزةُ ذاكم الرجلُ القتيل
أُصيبَ المسلمون به جميعاً ... هناك وقد أُصيب به الرسول
أَبا يَعْلَى لك الأركانُ هُدَّتْ ... وأَنت الماجدُ البَرُّ الوصول
عليك سلامُ ربك في جنان ... يخالطها نعيمٌ لا يزول
أَلا يا هاشمُ الأَخيارُ صبراً ... فكلُّ فعالكم حَسَنٌ جميل
رسول الله مصطبرٌ كريمٌ ... بأَمر الله ينطقُ إذ يقول
أَلا من مبلغٌ عنّي لؤيا ... فبعدَ اليوم دائلةٌ تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا ... وقائعنا بما يشفَى الغليل

---

(١) م: عملت.

(٢) م ط: عمرو (ط: شيبة).

(٣) انظر ديوان كعب: ٢٥٢ وديوان ابن رواحة: ١٣٢ وفي كليهما تخريج كثير.

نسيتم ضـربنـا بقـليبِ بـدرٍ غـداةَ أَتـاكم الموتُ العجيـل
غداة ثوى أَبـو جهلٍ صـريعاً عليـه الـطيـرُ حـائمـةً تجـول
وعتبـةُ وابنـه خـرًّا جميعـاً وشيبـةُ عضَّـه السيفُ الصقيـل
أَلا يـا هندُ لا تبـدي شِمـاتـاً بـحمـزةَ إِن عـزَّكُـمُ ذلـيـل
أَلا يـا هنـدُ فـابكي لا تملّي فـأَنت الوالـهُ العَبْرَى الهبـول

فوائد لغوية في أربع مسائل:

الأُولى: «ثُوَيْبَة» بضم الثاء وفتح الواو مصغّر وبعد ياء التصغير باء بواحدة: مـولاة أبـي لهب: مرضعـة النبـي صلى الله عليه وسلم، قـالـه القـاضي في المشارق (١: ١٣٧).

الثانية: في «الأَفعال» لابن طريف: حق لك[1] وحق أَن تفعل، وحققت أَن تفعل، أي صرت حقيقاً به. وفي «الديوان» (٣: ١٢٨): في باب فعلت بفتح العين في الماضي وضمها في المستقبل: حق لك أَن تفعل كذا وحققت أَن تفعل كذا بمعنى.

[الثالثة: في الصحاح» (٦: ٢٢٥٦) الوله: ذهاب العقـل والتحير من شـدة الوجد، ورجل واله وامرأَة واله ووالهة][2].

الرابعة: في «الصحـاح» (٥: ١٨٤٦) الهبول من النسـاء: الثكول، والهبـل بالتحريك مصدر قولك: هبلته أَمه أَي ثكلته، والإِهبال: الإِثكال.

٢ ــ **عبيدة بن الحارث رضي الله تعالى عنه:** في «الاستيعـاب» (١٠٢٠) عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف بن قصي القـرشي المطلبـي؛ يكنى أَبا الحارث، وقيـل أَبا معاوية، وكان أَسنَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين، وكان إِسلامه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأَرقم بن

---

(١) م: حق له.

(٢) هذه الفائدة الثالثة سقطت من م ط والمطبوعة التونسية، وزدتها من الطبعة المصرية.

أَبي الأَرقم، وقبل أَن يدعو فيها، وكانت هجرته إِلى المدينة مع أَخويه الطفيل وحُصَين ابني الحارث، وكان لعبيدة بن الحارث قدرٌ ومنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن إِسحاق (١: ٥٩١) أَول سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبيدة بن الحارث في ربيع الأَول سنة ثنتين في ثمانين راكباً، ويقال في ستين من المهاجرين ليس فيهم من الأَنصار أَحد. قال: ورواية عبيدة أَول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإِسلام، ثم شهد عبيدة بن الحارث بدراً فكان له فيها غناء عظيم ومشهد كريم، وكان أَشد المسلمين يومئذٍ، قطع عتبة بن ربيعة رجله يومئذٍ، وقيل بل قطعها يومئذٍ شيبة بن ربيعة، فارتث منها فمات بالصفراء على ليلة من بدر. ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مع أَصحابه بالنازيين قال له أَصحابه: إِنا نجدُ ريحَ مسك، فقال: وما يمنعكم؟ ها هنا قبر أَبي معاوية. وقيل كان لعبيدة بن الحارث يوم قتل ثلاث وستون سنة. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: ارتث الجريح: إِذا حمل عن المعركة وبه رَمَقٌ، ذكره [الفارابي] في باب الافتعال (٣: ١٧٦).

الثانية: البكري (٨٣٦) الصفراءُ على لفظ تأنيث أَصفر: قرية فوق ينبع، وبين ينبع والمدينة ست مراحل، وبالصفراء مات عبيدة بن الحارث بن المطلب. قالت هند بنت أُثاثة بن عباد بن المطلب ترثيه: [من الطويل]

لقد ضمَّنوا الصفراءَ مجداً وسؤدداً ... وحلماً أَصيلاً وافرَ اللبِّ والعقل
عُبَيْدَة فابكيه لأضيافِ غُرْبَةٍ ... وأَرملةٍ تهوي لأشعث كالجذْل

تنبيه:

لم يذكر البكري النازيين في كتابه وأَظنه اسم موضع من الصفراء، والله تعالى أعلم.

الفصل السابع
في ألوان ألويته ورايته عليه الصلاة والسلام، واسم رايته وما كتب على لوائه صلى الله عليه وسلم

(١) الأبيض:

في «السير» (١: ٦١٢) قال ابن إسحاق: دفع سول الله صلى الله عليه وسلم اللواء يومَ غزوةِ بدر الكبرى إلى مصعب بن عمير، قال ابن هشام: وكان أبيض.

وروى النسائي وأبو داود رحِمهما الله (٢: ٣١) عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه كان لواؤه صلى الله عليه وسلم يوم دخول مكةَ أبيض. انتهى.

(٢) الأصفر:

روى أبو داود (٢: ٣١) رحمه الله تعالى عن سماك عن رجلٍ من قومه عن آخرَ منهم قال: رأيتُ رايةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء.

وذكر رواية سماك بن حرب: كانت رايته عليه السلام صفراء.

وفي «الاستيعاب» (١٤٧٠) عن مزيدة العبدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد رايات الأنصار وجعلها صفراء.

(٣) الأغبر:

ذكر ابن جماعة في «مختصر السير» له في باب سلاح النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان له عليه الصلاة والسلام لواء أغبر.

فائدة لغوية:

الجوهري (٢: ٧٦٤) الغبرة لون الأغبر، وهو شبيه بالغبار.

(٤) الأسود:

قال ابن إسحاق في «السير» (١: ٦١٢ ـ ٦١٣) في أخبار غزوة بدر الكبرى: وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان: إحداهما مع علي بن أبي طالب، والأخرى مع بعض الأنصار.

قال ابن هشام: كانت رايةُ الأنصار مع سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنهم.

وذكر عبدالله بن حيان الأصبهاني (١٤٥) عن الحسن: كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب.

وفي التاريخ للبخاري (٢: ٢٦٠ ـ ٢٦١) رحمه الله تعالى عن الحارث بن حسان بن كَلدة البكري قال: دخلتُ المسجدَ فرأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً على المنبر يخطب وفلان قائم متقلد السيف، وإذا راياتٌ سودٌ تخفق، قلت: ما هذا؟ قالوا: عمرو بن العاص قدم من جيشِ ذاتِ السلاسل.

(٥) راية الصوف:

قال القضاعي في كتاب «الأنباء»: كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رايةٌ تُدْعَى العُقَاب من صوفٍ أسود.

(٦) الراية من المرط المرحل:

قال أبو محمد ابن حيان في كتاب «الأخلاق» (١٤٣) عن عائشة رضي الله تعالى عنها: كانت راية النبي صلى الله عليه وسلم من مرطٍ مُرَحَّل. وعن غيرها (١٤٥): كانت رايته عليه السلام من مرطٍ كان لعائشة.

فوائد لغوية:

المِرْط: في «المشارق» (١: ٣٧٧) المِرطُ بكسرِ الميم: كساءٌ من صوف أَو خزّ أَو كتّان؛ قاله الخليل. وقال ابن الأعرابي: هو الإزار، وقال النضر: لا يكون المرط إلا درعاً، وهو من خزٍّ أخضر، ولا يسمَّى المرط إلا الأخضر، ولا يلبسه إلا النساء، وظاهر الحديث يصحح ما قاله الخليل وغيره أنه كساء. وفي الحديث الصحيح: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرطٍ مرحّل من شعرٍ أسود. انتهى.

والمرحل: في «المشارق» (١: ٢٨٤) مرطٌ مرجَّل بالجيم للهروي، وبالحاء لغيره، وهما جميعاً صواب، وهو الذي يُوَشَّى بِصُوَرِ الرحال، فيقال بالحاء،

أو بصور المراجل أو الرجال فيكون بالجيم، وجاء: ثوب مراجل، وثوب ممرجل. انتهى.

وفي «الصحاح» (٤: ١٧٠٧) مرطٌ مرحّل بالحاء: إزار خز فيه علمان[١].

(٧) الراية من النمرة:

قال ابن جماعة في «مختصر السير» له: وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم راية سوداء مربَّعةٌ من نَمِرةٍ مُخْمَلَةٍ يقال لها العقاب.

فائدة لغوية:

في «المشارق» (٢: ١٣) النمار ــ بكسر النون ــ جمع نَمِرة وهي شملةٌ مخطّطةٌ من صوف، وقيل فيها أمثال الأهلة.

وفي «المحكم» النمرة: النكتة من أي لون كان، والأنمر الذي فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء، والأنثى نمراء، والنمرة: الحبرة لاختلاف ألوانِ خطوطها، والنمرة شملة فيها خطوطٌ بيضٌ وسود.

ما كان مكتوباً على لوائه صلى الله عليه وسلم:

ذكر أبو محمد عبدالله بن محمد بن حيان الأصبهاني في كتاب «أخلاق النبي» صلى الله عليه وسلم (١٤٣) عن بريدة رضي الله تعالى عنه: أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء ولواءه أبيض، زاد ابن عباس: مكتوبٌ على لوائه لا إله إلا الله محمد رسول الله. انتهى.

اسم رايته صلى الله عليه وسلم:

قال قاسم بن ثابت في «الدلائل» رحمه الله تعالى: كان اسم راية رسول الله صلى الله عليه وسلم: العقاب.

---

(١) هكذا في م ط؛ وفي الصحاح: علم.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «الصحاح» (٦: ٢٣٦٤) الراية: العلم وفي «جامع اللغات» للقزاز: الرايةُ كلُّ ما نصبتَهُ علماً نحو رايةِ البيطار والخمّار، والجمع: رايٌ ورايَاتٌ، وأَصل أَلفها ياء فإذا صغرت قلت: رُيَيَّة، ورَيَيْتُ راية فَأَنا مَرِيٌّ وهي مَرِيَّاة، والمصدر تَرِيَّة على تفعلة، وإن شئت أَظهرت التضعيف فقلت، تريية والإدغام أَحسن. وروى قوم عن أَبي عمرو بن العلاء أَنه سمع من العرب من يهمز الراية في الحرب، وغيرها إذا كانت عَلماً. وكان أَبو عمرو الحرمازي يروي بيت العجاج[1]:

* رَأْيٌ إذا أَوْرَدَهُ الطعنُ صَدَر *

بالهمز، وكذا ننشده، والراي جمع راية على ما تقدم، وقد عيب هذا عليه، وسائر الناس على ترك الهمز في الراية والرَّاي إذا كان جمعاً لها. وحكى بعض اللغويين أَرأَيت رايةً إذا ركزتها، والمعروف ما بدأْنا به.

الثانية: في «المشارق» (١: ٣٦٦) اللِّواء: الراية. وفي «المحكم» اللِّواء: العَلَمُ، والجمع أَلْوِية، وأَلويات، الأَخيرة جمعُ الجمع. قال الراجز[2]:

* جُنْحُ النَّواصِي نَحْو أَلْوِيَاتها *

وأَلْوَى اللِّواء عَمله أَو رفعه، ولا يقال لواه. وفي «الصحاح» (٦: ٢٤٨٦) الأَلوية: المطارد وهي دون الأَعلام والبُنود.

---

(١) ديوان العجاج ١: ٥٧ وقبله: وخطرت أيدي الكماة وخطر؛ وهو من شواهد سيبويه ٢: ١٨٩ والشاهد فيه جمع راية على راي، كما يقال آية وآي.

(٢) ورد في اللسان (لوى) والمخصص ٦: ٢٠٥.

الباب السادس

في انقسام الجيش إلى خمسة أقسام

المقدمة والمجنبتين والقلب والساقة. وكون الرئيس في القلب منها

في «المشارق» (١: ٢٤١): وسمي الجيشُ خميساً لقسمه على خمسة أَقسام: قلب وميمنة وميسرة ومقدّمة وساقة. قال الجوهري (٢: ٩٢١): أَلا ترى إلى قول الراجز[١]:

* قد نضربُ الجيشَ الخميسَ الأَزْوَرَا *

فجعله صفة[٢]. وقال ابن سيده: الخميس: الجيش يخمس ما وجده. قال القاضي في «المشارق» (١: ٢٤١) والأول أَولى لأن اسمه كان معروفاً قبل ورود الشرع بالخميس. انتهى. وفي أَشعار الستة لامرىءِ القيس[٣] [من الطويل]:

لَهَا مِزْهَرٌ يَعْلُو الخميسَ بصوته أَجَشُّ إِذا ما حَرَّكَتْهُ اليدانِ

قال ابن إِسحاق في «السير» (٢: ٤٠٦ ـ ٤٠٧) ثم في أَخبار يوم فتح مكة: حدثني عبدالله بن أَبي نجيح: أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذي طُوى أَمر الزبير بن العوام أَن يدخل في بعض الناس من كُدى، وكان الزبير على المجنبة اليسرى، وأمر سعد بن عبادة الأنصاري أن يدخل في بعض الناس من كَدَاء.

---

(١) ورد في اللسان (خمس، زور).

(٢) فجعله صفة: سقط من م.

(٣) ديوان امرىء القيس: ٨٦.

قال ابن إسحاق: فزعم بعضُ أَهلِ العلم أَن سعداً حين وجه داخلاً قال: اليومَ يومُ الملحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحرمة، فسمعها رجلٌ من المهاجرين، قال ابن هشام: هو عمر بـن الخطاب رضي الله تعالى عن جميعهم.

قال ابن إسحاق: فقال: يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة، ما نأْمن أَن يكون له في قريش صولـة، فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أَبي طالب: أدركه فخذِ الرايةَ فكنْ أَنت الذي تدخل بها.

قال ابن إسحاق (٢:٤٠٧) وحدثني عبدالله بن أَبي نجيح في حديثه: أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمر خالد بن الوليد فدخل من اللِّيط أَسفلَ مكة في بعض الناس، وكان خالد على المجنَّبة اليمنى وفيها أَسلم وسُلَيم وغِفار ومُزينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب، وأَقبل أَبُو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصبُّ لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أَذاخر حتى نزل بأَعلى مكة، وضربت له هناك قبة. انتهى.

وقال ابن إسحاق في «السير» (١:٦١٣) في خبر غزوة بدر الكبرى: وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على السَّاقة قيْسَ بن أَبي صعصعة أَخا بني مازن بن النجار. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأولى: في أَقسام الجيش:

أَما القلب فإنما سمى قلباً لتوسطه، وإحاطة سائر الأقسام به كتوسط قلب الإنسان في جسده، ويحتمل أَن يكون سمّي قلبـاً لمكان الرئيس به الذي هو سيد الجيش ومنه قلب النخلة وهو لبها. وفي «الصحاح» (١:٢٠٥) قلب النخلة: لبها، وفيه ثلاث لغات: قَلْبٌ وَقُلْبٌ وَقِلْبٌ.

وأَما الميمنة والميسرة فمن الجهة اليمنى واليسرى، وكذلك المجنبتان من الجنبين لإحاطتهما بالقلب، وأَما المقدّمة: فلتقدمها.

وفي «الصحاح» (٢٠٠٨٠٥) مقدمة الجيش ـ بكسر الدال ـ أوله. وفي «المحكم» مقدمة العسكر وقادمتهم وقداماهم: متقدموهم[١]، وقيل: مقدمة كلِّ شيءٍ أوله.

وأما الساقةُ فيحتمل أن يكون سُمِّيت بذلك لأنها لما تقدَّمها سائر الجيش صارت كأنها تسوقه. قال ابن القوطية (٢: ١٥٩) ساق الشيء سوقاً: قدَّمه بين يديه. وفي «فقه اللغة[٢]» (٢١) للثعالبي: ساقة العسكر: آخره. انتهى.

الثانية: في المواضع المذكورة في هذا الباب:

ذو طوًى: بفتح الطاء المهملة، مقصور منون: واد بمكة.

وكَدَاء: بفتح أوله، ممدود لا يصرف لأنه مؤنث، وهو جبلٌ من أعلى مكة وهو عرفة بعينها. قال حسان[٣]: [من الوافر]

عَـدِمْنَـا خَيْلَنَـا إن لم تَـرَوْهـا تُثِيـرُ النَّقْـعَ مَـوْعِـدُهـا كَـدَاء

وكُدىً بضم أوله وتنوين ثانيه مقصورٌ على لفظه، جمع كُدْية، بأسفل مكة عند قُعَيْقِعَان، وأما كُدَيٌّ مصغر: فإنما هو لمن خرج من مكةَ إلى اليمن، وليس من هذين الطريقين في شيء.

واللِّيط بكسر أوله وبعده ياء وطاء مهملة: موضع بأسفل مكة.

وأذاخر بخاء معجمة كأنه جمعُ أَذْخُر، ثنيّةٌ بين مكة والمدينة، ذكر جميعها البكري.

فائدة في معنى الباب:

ذكر ابن فتحون في «ذيل الاستيعاب» أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه خرج

---

(١) المحكم: متقدموه.

(٢) م: فقه اللغات.

(٣) ديوان حسان: ١٧.

في الردة إثر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي القَصَّة، وعلى ميمنته: النعمان بن مُقَرِّن، وعلى ميسرته: عبدالله بن مُقَرِّن، وعلى ساقته: سُوَيد بن مقرّن، فقرن الله تعالى له وللمسلمين في خروجه التوفيقَ والنصر. وصحبة بني مقرّن مشهورة، وكونهم إخوة سبعة، وقيل بل عشرة. انتهى.

ومقرن قال ابن سيِّد في «الاشتقاق» هو مفعِّل من قولهم: قَرَّنْتُ البعيرين إذا لز أَحدهما بالآخر. انتهى.

و«ذو القَصَّة» قال البكرى (١٠٧٦): بفتح القاف وتشديد الصاد المهملة: موضع في طريق العراق من المدينة سمّي بذلك لقصَّة في أَرضه، والقَصَّة: الجص، وقال في رسم المُضَيَّح[1] (١٢٣٦) ترحل من المدينة فتنزل ذا القَصَّة. انتهى.

---

(١) م ط: المصبح.

الباب السابع

في الرجل يقيمه الإمام يوم لقاء العدو بمكانه من قلب الجيش، ويلبس الإمام لأمته ويلبس هو لأمة الإمام حياطة على الإمام

قال أبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في «الاستيعاب» (١٣٢٤) كان كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري السلمي رضي الله تعالى عنه يوم أُحد لبس لأمة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت صفراء، ولبس النبي عليه السلام لأمته، فَجُرِحَ كعبُ بن مالك أحد عشر جرحاً.

فائدة لغوية:

اللأمة في قول أكثر اللغويين: الدرع. وقال في «المحكم» اللأمة: السلاح كلها، عن ابن الأعرابي؛ وهذا القول أقربُ إلى معنى الحديث، والله تعالى أعلم.

تنبيه:

قد تقدم ذكر كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه في باب الشاعر[1] بما أغنى عن الإعادة هنا.

---

(١) انظر ص: ٢٣١ في ما تقدم.

الباب الثامن
في صاحب المقدمة
وفيه فصلان

الفصل الأول
في من تولى ذلك بين يدي النبـيّ صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق في «السير» (٢:٤٠٧) رحمه الله تعالى في أَخبار فتح مكة: وأَقبل أَبو عبيدة بن الجراح بالصفِّ من المسلمين ينصبّ لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وذكر أَبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في «الاستيعاب» (٤٢٨) في اسم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه أَنه كان على مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين في بني سليم، وجُرِحَ يومئذ، فأَتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رَحْلِهِ بعد ما هُزِمَتْ هوازن ليعرفَ خبره ويعوده، فنفث في جرحه فانطلق.

وقد تقدم أَن مُقدِمةَ العسكرِ بضم الميم وكسر الدال، وقال ابن السِّيد: ولو فُتِحَتِ الدال لم أَرَ مَنْ فَتَحَهَا مخطئاً.

الفصل الثاني
في أنسابهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ــ **أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه ورحمه**: يأتي في باب المقدم على الرجالة إن شاء الله تعالى.

٢ ــ **خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (٤٢٧): خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، أَبو سليمان،

وقيل أَبو الوليد، أَحد أشراف قريش في الجاهلية، وإليه كانت القبة والأَعنة في الجاهلية. فأَما «القبة» فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يُجَهِّزُونَ به الجيش وأَما «الأَعنّة» فإنه كان يكون على خيلِ قريشٍ في الحروب. واختلف في وقت إسلامه وهجرته، فقيل كان إسلامه سنةَ خمسٍ بعد فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني قريظة، وقيل بعد الحديبية، وقيل بين الحديبية وخيبر في ذي القعدة سنة ست، وخيبر بعدها في المحرم سنة سبع، وقيل كان إسلامه سنة ثمان مع عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رمتكم مكة بأَفلاذ كبدها. ولم يزل من حين أَسلم يولّيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أَعنةَ الخيل فيكون في مقدمتها في محاربة العرب. وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة، وكان على مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين في بني سليم، وجُرِحَ يومئذ فأَتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رحله بعد ما هزمت هوازن ليعرفَ خبره ويعوده، فنفث في جرحه فانطلق. انتهى.

وشهد خالد رضي الله تعالى عنه بعث «مؤتة»، ولما أُصيب الأُمراء الثلاثة رضي الله تعالى عنهم الذينِ أَمَّرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخذ الراية وانحاز بالمسلمين.

وخرج البخاري (٥:١٨٢) رحمه الله تعالى عن أَنس رضي الله تعالى عنه أَن النبي صلى الله عليه وسلم نَعى زيداً وجعفراً وابن رواحة [للناس][1] قبل أَن يأْتيهم خبرُهُم، فقال: أَخذ الراية زيد فأُصيبَ، ثم أَخذ جعفرٌ فأُصيبَ، ثم أَخذ ابنُ رواحة فأُصيب ــ وعيناه تَذْرِفان ــ حتى أَخذ [الراية] سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم. انتهى.

قال أبو عمر ابن عبدالبر (٤٢٩) عن قيس قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: اندقَّتْ في يدي يوم مؤتة تسعةُ أَسيافٍ فما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية. وذكر البخاري مثله.

---

(١) زيادة من البخاري.

قال أَبو عمر (٤٢٩): وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: نعم عبدالله وأَخو العشيرة، وسيفٌ من سيوفِ الله سلَّهُ الله على الكفارِ والمنافقين.

وأَمّره أَبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما على الجيوش ففتح الله تعالى عليه اليمامة وغيرها، وقتل على يديه أَكثر أَهل الردة، منهم مسيلمة ومالك بن نويرة.

ولما حضرت خالدَ بنَ الوليد الوفاةُ قال: لقد شهدتُ مائةَ زحفٍ أَو زهاءها وما في جسدي موضع إلا وفيه ضربةٌ أَو طعنةٌ أَو رمية، ثم ها أنا ذا أَموتُ على فراشي كما يموت العَيْرُ فلا نامتْ أَعينُ الجبناءِ. وتوفي بالمدينة سنة إحدى وعشرين، وقيل بل توفي بحمص، ودفن بقرية على ميلٍ منها سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. وبلغ عمر بن الخطاب أَن نساءً من نساء بني المغيرة اجتمعن في دار يبكين على خالد بن الوليد، فقال عمر: وما عليهنَّ أَن يبكين أَبا سليمان ما لم يكنْ نَقْعٌ أَو لقلقة. وذكر محمد بن سلام قال: لم تبق[1] امرأَة من بني المغيرة إلا وضعت لِمتَّها على قبر خالد بن الوليد، يقول: حلقت رأْسها. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأولى: في «الغريبين» نَقْعٌ: أَي شقَّ الجيوب. قال المرار الفقعسي[2]:

نَقَعْنَ جُيُوبَهُنَّ عَلي حَيًّا وأَعْدَدْنَ المَرَاثِيَ والعَوِيلَا

واللقلقة: الجلبة ورفع الأَصوات كأَنه حكاية الأَصوات إذا كثرت من القاف واللام.

الثانية: أَصل اللِّمَّةُ: ما طال من شعرِ الرأْس حتى يلمَّ بالمنكبين؛ قاله غير واحدٍ من اللغويين.

---

(١) م: لم تبك.

(٢) البيت في اللسان (نقع) وللمرار بن سعيد الفقعسي ترجمة في الشعر والشعراء: ٥٨٨ والأغاني ١٠: ٣٢٤ والسمط: ٢٣١ والخزانة ٢: ١٩٣.

الباب التاسع

في المقدَّم على الميمنة

روى مسلم (٢: ٦٣ ـ ٦٤) عن عبدالله بن رباح قال: وفدنا على معاوية بن أَبي سفيان، وفينا أَبو هريرة فكان كلُّ رجلٍ يصنعُ طعاماً يوماً لأصحابه، وكانت نوبتي فقلت: يا أَبا هريرة اليومَ نوبتي، فجاءُوا إلى المنزل ولما يدركْ طعامنا فقلتُ: يا أَبا هريرة لو حدثتنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدركَ طعامنا، فقال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فجعل خالدَ بن الوليد على المجنبة اليمنى، وجعل الزبيرَ بن العوام على المجنبة اليسرى، وجعل أَبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادي، وساق الحديث.

وفي «السير» (٢: ٤٠٧) في أَخبار فتح مكة: قال ابن إِسحاق: حدثني عبدالله بن أَبي نجيح في حديثه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمر خالد بن الوليد فدخل من اللِّيط من أَسفل مكة في بعض الناس، وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها أَسلم وسليم وغِفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب. انتهى.

تنبيه:

قد تقدم ذكر خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه في باب صاحب المقدمة[1] قبل هذا فأَغنى ذلك عن إِعادته هنا، وسيأْتي الكلام على البياذقة في الباب الثالث عشر[2]، إِن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر ص: ٣٧٣ وما بعدها.

(٢) ص: ٣٨٠ في ما يلي.

الباب العاشر

في المقدم على الميسرة

قال ابن إسحاق في «السير» (٢: ٤٠٦) في أخبار فتح مكة: حدثني عبدالله بن أبي نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرَّقَ جيشه من ذي طُوىً أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعضِ الناس من كُدىً، وكان الزبير على المجنّبة اليسرى. انتهى.

وقد تقدم ذكر ذلك في حديث مسلم رحمه الله تعالى في باب صاحب الميمنة[1].

تنبيه:

يأتي ذكر الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه في باب كاتب الزكاة[2] من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظره في الصفحة السابقة.

(٢) انظر ص: ٥٥٠ في ما يلي.

الباب الحادي عشر

في المقدم على الساقة

قال ابن إسحاق في «السير» (١: ٦١٣) في خبر غزوة بدر الكبرى، وكانت في السنة الثانية من الهجرة: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال مضت من رمضان في أَصحابه، وجعل على الساقة قيسَ بن أَبي صعصعة أَخا بني مازن بن النجار. انتهى.

وفي «الاستيعاب» (١٢٩٤): قيس بن أَبي صعصعة، واسم أَبي صعصعة: عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار الأنصاري المازني. شهد العقبة وشهد بدراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعله على الساقة يومئذ، ثم شهد أُحداً. لا يوقف له على وقت وفاة. انتهى.

الباب الثاني عشر

في المقدم على الرماة

روى البخاري (٥: ١٢٦) رحمه الله تعالى عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرَّجَّالة يوم أُحد ــ وكانوا خمسين رجلاً ــ عبدالله بن جُبير.

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى في «السير» (٢: ٦٥ ــ ٦٦) في أَخبار يوم أُحد: وأَمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبدالله بن جبير أَخا بني عمرو بن عوف، وهو مُعلمٌ يومئذٍ بثيابٍ بيضٍ والرماةُ خمسون رجلاً، فقال: انضح الخيلَ عنا بالنَّبل لا يأْتونا من خلفنا إن كانت لنا أَو علينا، فاثبت مكانك لا نُؤْتَيَنَّ من قبلك. انتهى.

وفي «الاستيعاب» (٨٧٧): عبدالله بن جبير بن النعمان بن أُمية بن امرىء القيس ــ وهو البرك ــ ابن ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري: شهد العقبة ثم شهد بدراً، وقتل يومَ أُحد شهيداً، وكان يومئذ أَميراً على الرماة، وهو أَخو خوّات بن جبير بن النعمان لأبيه وأُمه. انتهى.

الباب الثالث عشر

في المقدم على الرجالة

وفيه فصلان

الفصل الأول

في ذكر من تولى

في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد تقدم في باب المقدم على الميمنة حديث مسلم رحمه الله تعالى عن عبدالله بن رباح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وفيه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الفتح فجعل خالدَ بن الوليد على المجنبة اليمنى، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى، وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطنِ الوادي.. الحديث، انتهى.

فائدة لغوية:

في «المشارق» (١: ١٠٨) «البياذقة» بياء موحدة مفتوحة بعدها ياء باثنتين من تحتها مخففة، بعدها ألف وذال معجمة مكسورة وقاف: وهم الرجالة، وهم أيضاً أصحاب ركاب[1] الملك والمتصرفون له.

الفصل الثاني

في ذكر نسب أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله تعالى عنه، وأخباره

في «الاستيعاب» (١٧١٠) (٧٩٣) أبو عبيدة ابن الجراح قيل: اسمه عامر بن الجراح، وقيل عبدالله بن عامر بن الجراح، والصحيح أن اسمه عامر بن عبدالله بن

---

(١) المشارق: ركائب.

الجراح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري، غلبت عليه كنيته. ذكر ابن إسحاق والواقدي أنه هاجر الهجرةَ الثانية إلى أرض الحبشة، ولم يذكر ذلك ابن عقبةَ ولا غيره، وشهد بدراً مع النبي صلى الله عليه وسلم وما بعدها من المشاهد كلها وكان من كبار الصحابة وفضلائهم وأهلِ السابقة منهم.

(١٧١١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل أُمة أَمين، وأَمين هذه الأُمة أَبو عبيدة ابن الجراح. وهو أَحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة.

(٧٩٣) وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من أَصحابي أحد إلا لو شئت وجدت عليه إلا أَبا عبيدة. قال الزبير: كان أَبو عبيدة أهتم، وذلك أَنه نزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المِغْفَر يومَ أُحد، فانتزعت ثنيتاه، فحسنتا فاه، فيقال: مارئي قط أَحسن من هتم أَبي عبيدة.

وقال فيه أَبو بكر الصديق يومَ السقيفة: قد رضيتُ لكم أَحدَ الرجلين فبايعوا أَيهما شئتم، يعني: عمر وأَبا عبيدة ابن الجراح، ولما ولي عمر عزل خالداً وولَّى أَبا عبيدة ابن الجراح على الشام. وقال عمر إذ دخل عليه الشام وهو أَميرها: كلُّنا غَيَّرَتْهُ الدنيا غيرك يا أَبا عبيدة.

توفي رضي الله تعالى عنه وهو ابن ثمان وخمسين سنة في طاعون عَمَواس سنة ثمان عشرة بالأردن من الشام وبها قبره. انتهى.

فائدة لغوية:

في «الديوان» (٢: ٢٦٩) هَتِمَ يهتَم بكسر التاء في الماضي وفتحها في المستقبل فهو أَهتم: وهو المنكسر الثنايا.

الباب الرابع عشر

في الوازع

في «الاكتفاء» (٢: ٢٩٧) في فتح مكة: ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشُقَّةِ بُـرْد حبرة، وإنه ليضعُ رأْسه تواضعاً لله حين رأَى ما أَكرمه الله به من الفتح حتى إن عثنونه ليكاد يمسُّ واسطةَ الرحل، ولما وقف هناك قال أَبو قحافة ــ وقد كُفَّ بصره ــ لابنةٍ له من أَصغر ولده: أَي بنية اظهري على أَبي قبيس، فأَشرفت به عليه فقال: أَي بنية ماذا ترين؟ قالت: أَرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل، قالت: أَرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال: أَي بنية ذلك الوازع، يعني: الذي يأمر الخيلَ ويتقدم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد، فقال: قد والله إذن دفعت الخيل فاسرعي بي إلى بيتي، فانحطَّتْ به. وتلقاه الخيل قبل أَن يصلَ إلى بيته، وفي عنق الجارية طَوْقٌ من وَرِق فيلقاها رجلٌ فيقتطعه من عنقها، قالت: فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد، أَتى أَبو بكر الصديق بأَبيه يقوده، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هلا تركت الشيخَ في بيته حتى أَكونَ أَنا آتيه فيه؟ فقال أَبو بكر: يا رسولَ الله هو أَحقُّ أَن يمشي إليك من أَن تمشي إليه، فأَجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال: أَسلِمْ، فأَسلم، ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم كأَن رأْسه ثغامة فقال: غيّروا هذا من شعره. ثم قام أَبو بكر فأَخذ بيد أُخته فقال: أَنشد الله والإسلام طَوْقَ أُختي، فلم يُجِبْهُ أَحد، فقال: أَي أُخيّة، احتسبي طوقَكِ فوالله إن الأَمانةَ اليوم في الناسِ لقليل. انتهى.

فوائد لغوية في أربع مسائل:

الأُولى: في «الصحاح» (٣: ١٢٩٧) وزعته أَزعه وَزْعاً: كففته، فاتّزع هو أَي

كفٌّ، والوازع: الذي يتقدم الصفَّ فيصلحه ويقدم ويؤخر، ويقال: وزعتُ الجيشَ: إذا حبستُ أولهم على آخرهم.

الثانية: في «الصحاح» (٢: ٧٣٧) الاعتجار: لف العمامة على الرأس. قال الراجز[١]:

جاءت به مُعْتَجِراً ببُرْدِه ... سَفْواءُ تَرْدِي بنسيجِ وَحْدِه

الثالثة: في «الصحاح» (٣: ١١٦٨) واسطة الكُور: مُقَدَّمه، قال طرفة[٢]:

وإن شئتُ سامى وَاسِطَ الكُورِ رأْسُها ... وعامت بضَبْعيها نَجَاء الخَفَيْدَدِ

الرابعة: في «الصحاح» (٥: ١٨٨٠) الثغام بالفتح نبتٌ يكونُ في الجبل يبيضُّ إذا يبس، ويشبه به الشيب، الواحدة: ثغامة. قال الشاعر مخاطباً نفسه[٣]: [من الكامل]

أَعلاقةً أُمَّ الوليِّدِ بعد ما ... أَفنانُ رأْسِك كالثَّغَامِ المُخْلِس

---

(١) هو دكين بن رجاء الفقيمي كما في اللسان (سفا، عجر) يمدح عمر بن هبيرة الفزاري؛ والسفواء: البغلة الخفيفة السريعة.

(٢) ديوان طرفة (شرح الأعلم): ٢١، يصف الناقة، والضبعان: العضدان، والخفيدد: ذكر النعام، والنجاء السرعة، شبه الناقة به في سرعته.

(٣) هو المرار الأسدي كما في اللسان (ثغم، فنن) وأفنان الرأس: خصله.

الباب الخامس عشر
في صاحب الخيل
وفيه خمسة فصول

الفصل الأول
في أمر الله تعالى بارتباط الخيل وإعداد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيلَ في سبيل الله، وذكر من تولَّى النظر فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله عز وجل: ﴿وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ من دونِهِمْ لاَ تَعْلمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفقُوْا مِنْ شَيءٍ في سَبِيل اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُون﴾ (الأنفال: ٦٠).

وقد اقتبس كعب بن مالك الأنصاري رضي الله تعالى عنه شاعر النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الآية المعظمة، فقال يعني الخيل[1]:

أَمـر الإلـه بـربـطهـا لعـدوِّه ... في الحربِ إن الله خيرُ موفق
لتكـونَ غيـظاً للعـدا وحيـاطـةً ... للدار إن دلفت خيـولُ النـزَّقِ

روى الترمذي (٣: ١٣١) رحمه الله تعالى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: كانت أَموال بني النضير مما أَفاء الله على رسوله مما لم يوجِفْ المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركاب، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصاً، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزل نفقةَ أَهله سنةً، ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله.

---

(١) السيرة ٢: ٢٦٢ وديوان كعب: ٢٤٧.

قال أَبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وخرج البخاري (٥: ١١٤) رحمه الله تعالى نحوه، وقال: «خالصة» عوض «خالصاً».

وذكر ابن إسحاق (٢: ٢٤٥) رحمه الله تعالى في غزوة بني قريظة: أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن زيد الأَنصاري أَخا بني عبدالأَشهل رضي الله تعالى عنه بسبايا من سبايا بني قريظة إِلى نجد فابتاع له بها خيلاً وسلاحاً.

فائدة لغوية:

في «المشارق» (١: ٣٣٩): الكُراع بضم الكاف؛ قال أبو علي: الكُراع: اسم لجميع الخيل، والأَكارع لذوات الظلف خاصة كالأَوظفة من الخيل والإِبل، ثم كثر ذلك حتى سموا به، ثم استعمل ذلك في الخيل خاصة.

الفصل الثاني
في ذكر سعد بن زيد رضي الله تعالى عنه وأَخباره

في «الاستيعاب» (٥٩٢) سعد بن زيد الأَنصاري الأَشهلي. قال ابن إسحاق (١: ٦٨٦): هو سعد بن زيد بن مالك بن عُبَيْد بن كعب بن عبدالأَشهل، شهد بدراً. وقال غير ابن إسحاق: هو سعد بن زيد بن عوف بن عمرو بن جُشم بن الحارث بن الخزرج. ولم يشهد بدراً. والصواب: أَنه من بني عبدالأَشهل، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد. وفي قول الواقدي: شهد العقبة خاصة، وعند غيره: شهد بدراً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال أَبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى (٥٩٢): وسعد بن زيد هو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبايا من سبايا بني قريظة إِلى نجد فابتاع له بهم خيلاً وسلاحاً، وهو الذي هدم المنار الذي كان بالمُشلَّل للأَوس والخزرج. يُعَدّ في أَهلِ المدينة.

الفصل الثالث
في ذكر خيل النبـي صلى الله عليه وسلم[1]

ذكر ابن جماعة رحمه الله تعالى في «مختصر السير» خيلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: منها «السَّكْب» وهو أول فَرَسٍ ملكه، اشتراه صلى الله عليه وسلم من أَعرابي بعشر أواق، وكان اسمه عند الأعرابي: «الضَّرِس». أول ما غزا عليه أُحُداً، ولم يكن مع المسلمين فرسٌ غيره وغير فرس لِأبي بُرْدَة بن نِيار يقال له: «مُلَاوِح».

قال: وكان ــ يعني فرسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ أَغرَّ مُحَجَّلاً طَلْقَ اليمين كُمَيْتاً.

وقال ابن الأثير (٢: ٣١٤) كان أَدهم، وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرس أَدهم، يسمى: «السَّكْب». و«المرتجز» وكان أَشهب، وهو الذي شهد له فيه خُزَيمة بن ثابت رضي الله تعالى عنه فجعل شهادته شهادةَ رجلين.

وقيل هو «الظَّرب» وقيل هو «اللحيف». قال ابن الأثير (٢: ٣١٤): وكان صاحبه من بني مرة. و«اللَّحيف» أَهداه له ربيعة بن أَبي البرَاءِ، وقيل فروة بن عمرو الجذَامِيِّ. و«اللِّزاز» أَهداه له المُقَوْقِس، و«الظَّرِب» أَهداه له فروة بن عمرو الجُذامِيِّ، فأَعطاه أَبا أسيد الساعدي. و«سبْحة» وهو الذي سابق به فسبق ففرح به. و«الورد» أَهداه له تميم الداري فأَعطاه عمر رضي الله تعالى عنه فحمل عليه في سبيل الله.

قال ابن الأثير (٢: ٣١٤) وهو الذي وجده يباع.

قال ابن جماعة: فهذه سبعة أَفراس مُتَّفَقٌ عليها، وقيل: كانت له صلى الله عليه وسلم أَفراسٌ أُخر خمسة عشر مختلَفٌ فيها.

---

(١) قارن بما ورد في عقد الأجياد في الصافنات الجياد: ٣٢٢ ــ ٣٢٤.

فوائد لغوية في تسع مسائل:

الأُولى: في «المستوعب»[1] لِأبي عبيد البكري: «السَّكْبُ» فرس من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي ركبه يوم أُحد، يقال: فرسٌ سكْبٌ: إذا كان جواداً كثير العدو وكأنه يسكبُ الجريَ سكباً.

الثانية: وأَما اسمه عند الأَعرابي الذي باعه فالضَّرِس بفتح الضاد وكسر الراءِ من قولهم: رجلٌ ضَرِسٌ أي صعبُ الخلق. قال الجوهري (٢:٩٣٩): رجل ضَرِسٌ شرسٌ: أَي صعبُ الخلق.

الثالثة: «مُلَاوِح»: فرس أَبي بردة. في «المحكم» المِلْوَاح: العظيمُ الأَلواح، وكلُّ عظيمٍ عريضٍ: لوْح. انتهى.

ومن شعر ضرار بن الخطاب في «السير» (٢:١٤٥): [من البسيط]

إِنِّي وَجَدِّك لا أَنْفَكُّ مُنْتَطِقاً ... بصارمٍ مثلِ لونِ المِلْحِ قَطَّاعِ

على رِحَالَةِ مِلْواحٍ مُثَابِرَةٍ ... نَحْوَ الصَّريخِ إِذا ما ثُوِّبَ الداعي

وقال ابن سيده: المِلْوَاح: الضامر. وأَنشد: [من الرجز]

* من كلِّ شَقَّاءِ النَّسَا مِلْوَاحِ[2] *

الرابعة: في «المستوعب»: «المُرْتَجِز»: فَرَسٌ من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أَشقر، سمِّي بذلك لكثرةِ صهيله وحسنه، شبهه بارتجاز الرعد.

الخامسة: في «المستوعب»: «اللَّخِيف»، ويقال: «اللَّحِيف»: أَحد أَفراس رسول الله صلى الله عليه وسلم، قيل سُمِّي بذلك لكثرةِ سبائبِ ذنبه، وقيل سُمِّيَ من قولك: لحفت الفرس وأَلحفته: إِذا جللتَه لحافاً.

---

(١) كتاب «المستوعب» لأبي عبيد البكري، لا أعرف أحداً نقل عنه سوى الخزاعي، ولم يذكره الأستاذ الميمني رحمه الله في مقدمته على السمط بين كتب أبي عبيد.

(٢) انظر اللسان (لوح).

السادسة: «اللِّزاز» يحتمل أَن يكون من اللَّز، وهو لزوم الشيء للشيء، كأَنه يلازم الجري.

وأَنشد ابن السيد[1]: [من الطويل]

لِزاز حِضَارٍ يسبقُ الخيلَ عَفْوُهُ على الدفعةِ الأُولى وفي العَقْبِ مِرْجَما

ويحتمل أَن يكون من شدة الخَلْقِ.

قال الزبيدي: المُلَزَّز الخَلْقِ: المُجْتَمِعُهُ. وأَنشد أَبو عبيد في «الغريب المصنف»: [من الرجز]

* وطِرْفة لَـزَّت دِخَالاً مُـدْمَجَا[2] *

وفي «المستوعب»: سبَّق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل، وجلس على سَلْع، فطلعت ثلاثةُ أَفراسٍ يتلو بعضها بعضاً: أَولها: فرسه لِزاز، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من عليه؟ قالوا: سهل بن سعد، فقال: امضِ بارك الله عليك، فطلع رأْسَ الثلاثة سابقاً، وفرسُهُ الظَّرِب مُصَلِّياً، وفرسه السكب ثالثاً، كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

السابعة: في «المستوعب» الظَّرِب فرسٌ من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، تشبيهاً بالظرب من الجبال وهو المنبسط.

الثامنة: «سَبْحَة» قال الشريف أَحمد بن عبدالله الطبري[3] في «خلاصة السير» له جاء سابقاً فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمي «سبحة»، وقال البكري في «المستوعب» «سَنْحَة» بالنون، قال: وروى الزبير بن الخريت[4] عن

---

(١) نسبه في شرح السبع الطوال: ٨٥ لجرير.

(٢) اللسان (طرف، دخل) والطرفة: مؤنث الطرف، والدخال: مداخلة المفاصل بعضها في بعض، والرواية في اللسان: شدت دخالاً.

(٣) أرجح أنه المعروف بالمحب الطبري صاحب الرياض النضرة وذخائر العقبي فقد ذكر تقي الدين الفاسي بين مؤلفاته مؤلفاً في السيرة النبوية (العقد الثمين ٣: ٦٤).

(٤) الزبير بن الخريت البصري روى عن ابن سيرين وعكرمة مولى ابن عباس، وكان ثقة (تهذيب التهذيب ٣: ٣١٤).

أَبي لبيد لِمَازة بن زبَار الجَهْضَمِي[1] من الأزد، قال[2]: أَجرى الحكم بن أَيوب الخيلَ بالبصرة فنظرنا إِليها ثم مررنا بأَنس بن مالك فقلنا: لو سأَلناه هل راهن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخيل، فسأَلناه فقال: نعم، راهن على فَرَسٍ يقال لها: سنحة فسبقت فرأَيته هَشَّ لذلك.

ورواه أَبو إِسحاق الحربي قال: فرأَيته فرح لذلك.

التاسعة: الورد من الخيل: الأَحمر الصافي الحمرة، قاله غير واحد.

الفصل الرابع
في اتخاذ عمر رضي الله تعالى عنه الخيل عدةً في سبيل الله تعالى وذكر من كان قـيّمه عليها

قال أَبو الربيع ابن سالم رحمه الله تعالى في «الاكتفاء»: كان عمر رضي الله تعالى عنه قد اتخذ في كل مِصْر على قدره خيولاً من فضول أَموال المسلمين عُدّةً لما يَعْرِضُ، فكان من ذلك بالكوفة أَربعةُ آلافِ فرس، يُشَتِّيهَا في قِبْلَةِ قصرِ الكوفة وميسرته، في مكانٍ يسمَّى لأجلِ ذلك «الآرِيّ»، ويُرْبِعُها فيما بين الفرات والأَبيات من الكوفة مما يلي العاقول، فسمَّتْهُ الأَعاجـم آخراً الشاهجان، يعنون: مِعْلَف الأُمراء، وكان قيّمه عليهـا سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أَهل الكوفة، يصنع سوابقها ويُجْريها في كلِّ يوم، وبالبصرة نحو منها، قيمه عليها جَزْءُ بن معاوية، وفي كل مصرٍ من الأَمصار على قدره. انتهى.

فائدة لغوية:

قال الزبيدي في «المختصر»: الآرِيّ: المعْلَف، وأَرَتِ الدابَّةُ إِلى مَعْلَفِها تَأْرِي: إِذا أَلفته. وفي «الصحاح» (٤:١٤٠٦): علفتُ الدابة علفاً، والموضع مِعْلَف

---

(١) روى لمازة عن عمر وعلي وأبي موسى وغيرهم، وعنه الزبير بن الخريت، وكان ثقة صالح الحديث، وقال فيه ابن حزم «غير معروف العدالة» (ولعله قال ذلك لأن لمازة كان يسب علياً لكثرة ما قتل من قبيلته) (تهذيب التهذيب ٨:٤٥٧).

(٢) انظر أسماء الخيل للغندجاني: ١٢٦.

بالكسر. وقال ابن قتيبة في «الأدب» (٣٧ـ٣٨): يذهب الناس في الآريّ إلى أنه المعْلَف، وذلك غلط، وإنما الآري: الآخِيَّة التي تُشَدّ بها الدابة، وهو من تأريتُ بالمكان: إذا أقمتَ به. وقال أبو حاتم في «لحن العامة»: الآرِيّ: حبل يدفن في الأرض ويبرز طرفه تُشَدّ به الدابة، وكذلك الآخيّة ممدودةٌ مشددة.

وقال أبو جعفر ابن النحاس: الأَوَارِيُّ والأَوَاخيُّ: واحد، وهي التي تحبس بها الخيل من وَتِدٍ أو حَبْلٍ، والواحد: آريّ وآخِيَّة، وهي من قولهم: أَرَتِ القِدْرُ تَأْري إذا لَصِق في أسفلها شيءٌ قد احترق ولا يكاد يفارقها. وقال النابغة الذبياني[1]: [من البسيط]

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْياءِ فالسَّنَدِ ... أَقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأَمَدِ
وقفتُ فيها أُصَيْلَاناً أُسَائِلُها ... عَيَّتْ جواباً وما بالربع من أَحدِ
إلا الأَوارِيَّ لَأْياً ما أُبَيِّنُها ... والنُّؤْيُ كالحوض بالمظلومَةِ الجَلَدِ

الفصل الخامس
في ذكر أنسابهم وأخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ـ سلمان بن ربيعة الباهلي رضي الله تعالى عنه: في «الاستيعاب» (٦٣٢) سلمان بن ربيعة الباهلي أحد بني قتيبة بن معن بن مالك، يعد في الكوفيين. ذكره العقيلي في الصحابة، وقال أبو حاتم الرازي: له صحبة. قال أبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى: وهو عندي كما قالا، وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد بعثه قاضياً بالكوفة قبل شُرَيح، فلما ولى سعداً الولاية الثانية بالكوفة استقضاه أيضاً، وكان يلي الخيلَ لعمر، فكان يقال له: سلمانُ الخيل، وروي عنه أنه قال: قتلتُ بسيفي هذا مائة مستلئم كلهم يعبد غيرَ الله، ما قتلتُ منهم رجلاً صبراً.

وقُتِلَ سلمان بن ربيعة رضي الله تعالى عنه ببلنجر من بلاد أرمينية سنة ثمان وعشرين، وكان عمر رضي الله تعالى عنه بعثه إليها، ولم يقتل إلا في زمن عثمان

---

(١) ديوان النابغة: ١٤ ـ ١٥.

رضي الله تعالى عنه، وقيل بل قتل ببلنجر سنة تسع وعشرين، وقيل سنة ثلاثين، وقيل: سنة إحدى وثلاثين.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: قال الأَعلم في قول عنترة[1]: [من الكامل]

إن تُغْدِفي دوني القناعَ فإنني طَبٌّ بأَخْذِ الفارسِ المستلئم[2]

هو لابسُ اللأمة وهي الدرع، ويقال اللأمة: السلاحُ كله.

الثانية: «بلَنْجُر» مدينة الخزر؛ قاله أَبو علي الغساني رحمه الله تعالى وضبطها بفتح الباء بواحدة وفتح اللام وسكون النون وضم الجيم بعدها راء مهملة، نقلتُهُ من خطه في أَصله من «الاستيعاب» في اسم سلمان في طرة على الاسم المذكور.

٢ ــ **جزء بن معاوية رضي الله تعالى عنه**: قال أَبو عمر ابن عبدالبر (٢٧٤) رحمه الله تعالى: جزء بن معاوية التميمي، عمّ الأَحنف بن قيس. لا تصحُّ له صحبة، كان عاملاً لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على الأَهواز.

وقال أَبو محمد ابن حزم في «جماهره» (٢١٧): عمّ الأَحنف: جزء بن معاوية، له وفادة.

وقال أَبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب «الجماهر» (١٧) له: جزء بن معاوية بن حصين، ولاه عمر رضي الله تعالى عنه «مَنَاذِر»، وهو من ولد مُرَّةَ بن عبيد بن مُقَاعس. وقال ابن فتحون في «الذيل»: جزء بن معاوية استعمله عمر رضي الله تعالى عنه في اتباع الهرمزان، وأَمَّره على ما افتتح؛ ذكره سيف والطبري. انتهى.

وفي استدراك ابن فتحون له في «الذيل»، وقول ابن حزم: وله وفادة، يصحح أَن له رضي الله تعالى عنه صحبة.

---

(١) شرح السبع الطوال: ٣٣٥.

(٢) الاغداف: إرسال القناع؛ طبّ: حاذق.

فائدة تاريخية:

ذكر أَبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في «الاستيعاب» (١٤٢٠) في أَخبار معاوية بن أَبـي سفيان أَنه، رضي الله تعالى عنه، أَول من قِيدَتْ بين يديه الجنائب.

فائدة لغوية:

في «المعجم» (١٢٦٣) مَنَاذِر بفتح الميم وكسر الذال المعجمة بعدها راء مهملة: قريةٌ من قرى الأَهْوَاز، وهما قريتان: مَنَاذِرُ الكُبْرى ومَنَاذِرُ الصغرى، وكذلك اسم الرجل: مَنَاذِر ــ بفتح الميم ــ وكان محمدُ بنُ مُنَاذِر الشاعر يغضبُ إِذا قيل له كذلك بفتح الميم، ويقول: اشتقاق اسم أَبي من نَاذَر فهو مُناذِر. انتهى. والحمد لله على نعمه.

هذا آخر السفر الأول من النسخة التي عليها خطّ المؤلف رحمة الله عليه تجزئة سفرين وعليهما خطه بإلحاقات وزيادات وتصويبات والله المستعان[1]

(١) هذه التجزئة تنفرد بها م.

الباب السادس عشر
في المسرج
وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر من كان يسرج لرسول الله صلى الله عليه وسلم

في كتاب «أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم» (١٥١) لابن حيان الأصبهاني رحمه الله تعالى عن أبي عبدالرحمن الفهري رضي الله تعالى عنه، قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوْمَ حنين في يوم صائفٍ شديدِ الحرّ، فقال: يا بلال أسرج لي فرسي، فأخرج سرجاً رقيقاً من لِبْد ليس فيه أَشرٌ ولا بَطَرٌ. انتهى.

ومن مسند أبي داود الطيالسي (١٩٦) رحمه الله تعالى ثم من حديث أبي عبدالرحمن الفهري: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرنا في يومٍ قائظٍ شديدِ الحرّ فنزلنا تحتَ ظلالِ الشجر، فلما زالت الشمسُ لبستُ لأمتي وركبتُ فرسي، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في فسطاطه فقلت: السلامُ عليكَ يا رسول الله ورحمة الله، قد حان الرواحُ يا رسول الله، قال: أجل. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بلال، فثار من تحت شجرة كأن ظله ظلُّ طائرٍ فقال: لبيك وسعديك وأنا قدامك، قال أسرجْ لي فرسي فأتاه بدَفَّتَيْنِ من ليفٍ ليس فيهما أَشرٌ ولا بطرٌ، قال: فركب فرسه ثم سرنا. انتهى.

ورواه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢:٦٤٩) رحمه الله تعالى، وخالف في بعض ألفاظه فقال عن عبدالله بن يسار أن أبا عبدالرحمن الفهري قال: شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً، فسرنا في يوم قائظٍ شديدِ الحر،

فنزلنا تحت ظل الشجر، فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي، فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في فسطاطه، فقلت: السلامُ عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، قد حان الرواح، قال: أجل، ثم قال: يا بلال، فثار من تحت شجرةٍ كأن ظله ظلُّ طائرٍ فقال: لبيك وسعديك وأنا فداؤك، فقال: اسرج لي الفرس، فأخرج سَرجاً دَفتاه من ليفٍ ليس فيهما أَشر ولا بطر فركبَ وركبنا، وساق الحديث.

قال أبو داود (٢: ٦٤٩) أبو عبدالرحمن الفِهْري ليس له إلا هذا الحديث، وهو حديثٌ نبيل جاء به حماد بن سلمة. انتهى، ذكره في كتاب الأدب.

الفصل الثاني
في ذكر من أي شيء
كان سرج رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف وكرَّم

قد اختلف في نصِّ هذا الحديث المروي عن أبي عبدالرحمن الفهري، ففي كتاب ابن حيان أنه من لِبْد، وعن الطيالسي (١٩٦) والسجستاني (٢: ٦٤٩) أنه من ليف، ولم يجيء في أشعار العرب في سروجهم إلا أنّه من لِبْدٍ، وقال امرؤُ القيس: [من الطويل]

* كُمَيْتٍ يـزلّ اللِّبدُ عن حـال مَتْنِـهِ[1] *

ولسلامة بن جندل[2]: [من البسيط]

من كلِّ حَتٍّ إذا ما ابتَلَّ مُلْبَدُهُ صافي الأَديمِ أَسيلِ الخدِّيَعْبُوبِ[3]

---

(١) من معلقته، وعجزه: كما زلت الصفواء بالمتنزل؛ ديوانه: ٢٠.

(٢) ديوان سلامة: ٩٨.

(٣) الحت: الجواد الذي لا يجارى؛ ويروى: ضافي السبيب؛ اليعبوب: الكثير الجري.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى: قال يعقوب في شرح [ديوان] حاتم الطائي: أَحناء السرج: عيدانه، الواحد: حِنْو. ومن «التحفة الفارسية»: السرجُ: مذكر وجمعه سروج، وهو مؤلف من دَفَّتَيْن، والواحدة دفَّة بفتح الدال، وهما اللتان تقعان على ظهرِ الفرس، ومن قَرَبَوسين والواحد قَرَبوس بفتح الراء، قال الجوهري (٢:٩٥٩) ولا يُخَفَّفُ إلا في الشعر. والذئبة: فرجة ما بين دَفتي السرج، والجَدَيات بفتح الجيم والدال: واحدته جَدْيَة بسكونِ الدال: قِطَعٌ من الأكسية ونحوها تحشى وتشد تحت دفَّتي السرج. انتهى. وقال الجوهري (٩:٢٢٦٦) ويجمع أَيضاً: على جَدْي[1]: كَشَرْيَةٍ وشَرْي.

وفي «الأَفعال» لابن طريف أسرجتُ الدابةَ: عملت لها سرجاً، وأَسرجتها أَيضاً: وضعتَ عليها السرجَ.

الثانية: في «الصحاح» للجوهري (٢:٥٧٩، ٥٩٢) الأَشر: البطر، والبطر: شدةُ المرح، وقد أَشِر بالكسر يأْشِر أَشَراً فهوأَشِر، وبَطِر بالكسر، وأَبطره المال.

الثالثة: في «الصحاح» (٤:١٦٢٢) قولهم «أَجل» إنما هو[جواب] مثل نعم، قال الأَخفش: إلا أنه أحسن من نعم في التصديق، ونعم أَحسن منه في الاستفهام، فإذا قال: أَنت سوف تذهب، قلت: أَجل، وكان أَحسن من نعم، وإذا قال: أَتذهبُ؟ قلت: نعم وكان أَحسن من أجل.

---

(١) في الصحاح: والجمع جَدَىً وَجَدَيات.

الباب السابع عشر

في ذكر من أخذ بركاب النبي صلى الله عليه وسلم عند ركوبه وذكر ما جاء في ضمّ ثياب الفارس في سرجه عند ركوبه وفيه أربعة فصول

الفصل الأول
في ذكر من أخذ بركابه صلى الله عليه وسلم

ذكر النسائي[1] في سنده عن عبدالله بن بسر عن أبيه رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه فَأَتَوْه بطعام، فكان يأْكل التمر ويضع النوى على ظهر إِصبَعه[2] ثم يرمي به، قال: ثم قام يركبُ بغلةً له بيضاءَ، فقمتُ لآخذَ بركابه، فقلت: يا رسول الله ادعُ الله لنا، قال: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم.

وفي «الاستيعاب» (١٦٠) لأبي عمر رحمه الله تعالى في باب بُسر: بسر السلمي، ويقال المازني: نزل عندهم النبي صلى الله عليه وسلم فأكل عندهم ودعا لهم. لا أَعرف له غير هذا الخبر. وهو والد عبدالله بن بُسر، لم يرو عنه غير ابنه عبدالله بن بُسر، وليس من الصمّاءِ في شيء، يعد في الشاميين.

وفي باب عبدالله: عبدالله بن بسر المازني (٨٧٤)، مازن بن منصور بن قيس[3]، يكنى أَبا بسر، وقيل أبا صفوان، وهو أخو الصماء، مات بالشام سنة ثمان

---

(١) قارن بمسند أحمد ٤: ١٨٨.

(٢) المسند: اصبعيه.

(٣) ط: أبي قيس؛ م: في قيس.

وثمانين وهو ابنُ أربعٍ وتسعين سنة، وهو آخر من مات بالشام بحمص من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي باب الباء من كتاب النساء (١٧٩٧) بُهَيَّة، قال: ويقال بُهَيْمة ـ بزيادة ميم ـ بنت بُسر أُخت عبدالله بن بسر المازني تُعْرَفُ بالصَّماء، قال أبو زُرْعة، وقال لي دحيم: أهل بيت أربعة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم: بسر وابناه عبدالله وعطية وابنته أُختهما الصماء.

وفي باب الصاد (١٨٧٤) الصماء بنت بسر المازنية أخت عبدالله بن بسر. انتهى. فقد أثبت أبو عمر رحمه الله تعالى من إخوة عبدالله والصماء ما كان نفاه أولاً بقوله في اسم عبدالله: وليس من الصماء في شيء.

الفصل الثاني
في ذكر من أخذ بالركاب من الصحابة رضوان الله عليهم، اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال القاضي أبو الفضل عياض في «الشفاء» (٢: ١١٠) عن الشعبي[1]: صلَّى زيد بن ثابت على جنازة أمه، ثم قُرِّبت له بغلته ليركبها، فجاء ابنُ عباس فأخذ بركابه، فقال زيد: خلِّ عنه يا ابنَ عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هكذا نفعل بالعلماء، فقبَّل زيدٌ يدَ ابن عباس وقال: هكذا أُمرنا أن نفعلَ بأهلِ بيتِ نبينا.

الفصل الثالث
فيما جاء في ضمِّ ثياب الفارس في سرجه عند ركوبه

ذكر الثعالبي في «فقه اللغة» والمطرِّز في «اليواقيت» والنص له، قال، قال أبو العباس ثعلب: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: بعث رسول الله صلى الله

---

(١) انظر هذه القصة أيضاً في نثر الدر ١: ٤٠٨ ـ ٤٠٩ وعيون الأخبار ١: ٢٦٩ وأنساب الأشراف ٣: ٤٦ والعقد ٢: ١٢٧، ٢٢٤ والبصائر ١: ١١٢ ومحاضرات الراغب ١: ٢٦٢ والتذكرة الحمدونية ١: ١٠٤ وألف باء ١: ١٩.

عليه وسلم علياً رضي الله تعالى عنه في سرية، فرأيته قد ألبسه ثيابه وعممه، فركب على رضي الله تعالى عنه، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له ويوصيه، وصفن ثيابه في سرجه: أي جمعها.

قال أبو العباس ثعلب: سألت ابنَ الأعرابي عنها فقال: هي مأخوذة من الصِّفْنة ويقال الصُّفنة وهي السُّفرَة التي لها خيوط تجمع بها.

زيادة إفادة في هذا الفصل الثالث والفصل الثاني الذي قبله:

ذكر الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي رحمه الله تعالى في كتابه «طبقات الفقهاء» (٦٩) عن مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى قال: كان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يأخذ في الركاب ويسوي عليَّ ثيابي إذا ركبت.

الفصل الرابع
في ذكر أول من ضَرَبَ الرُّكُبَ من الحديد في الإسلام

قال المبرد في «الكامل» (٣: ٣٧٨): كانت رُكُب الناس قديماً من خشب، فكان الرجل يضربُ ركابه فينقطع، فإذا أراد الضربَ أو الطعنَ لم يكن له مُعْتَمَدٌ، فأمر المهلبُ فضُرِبَت الركبُ من الحديد، فهو أوَل من أمر بطبعها. وفي ذلك يقول عِمرانُ بن عصامٍ [1] العَنزيُّ: [من الكامل]

ضربوا الدراهم في إمارتهم ... وضربتَ للحدَثان والحَرْب
حَلَقاً تُرى منها مرافقُهُم ... كمناكبِ الجَمَّالةِ الجُرْبِ

... انتهى.

وقال علي بن عبدالله بن النعمة: وقع في كتاب «أخبار الخوارج» تأليف

---

(١) ط: عاصم.

القاسم بن محمد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة رواية قاسم بن أَصبغ:

* حلقاً ترى منها مراكلنا *

والمراكل: مواضع الهمزِ من جنبي الفرس، فأَما ما رواه أَبو العباس فليس له معنًى يصحُّ، نقلته من طُرّةٍ كتبها على البيتين في نسخته من الكامل التي كتبها بخطه وقرأها على ابن السيد البطليوسي[1].

(١) هنا ينتهي الجزء الأول في ط ويبتدىء الجزء الثاني.

الباب الثامن عشر

في الرجل يركب خيل الإمام يسابق بها

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق بين الخيل

روى البخاري (٤: ٣٨) رحمه الله تعالى عن عبدالله بن محمد قال، حدثنا معاوية قال، حدثنا أبو إسحاق عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال: سابق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي قد أُضْمرت فأرسلها من الحفياء، وكان أمدها ثنية الوَداع، فقلت لموسى: وكم بين ذلك؟ قال: ستة أميال أو سبعة، وسابق بين الخيل التي لم تُضمر فأرسلها من ثَنِيَّةِ الوَداع، وكان أمَدُها مسجدَ بني زُرَيْق، قلت: كم بين ذلك؟ قال: ميل أو نحوه، وكان ابن عمر ممن سابق فيها.

فائدة لغوية:

في «المشارق (٢: ٢٠٦) سابق بين الخيل أي أجراها ليرى أيها يسبق، والسباق والسبق: الاسم، والسبَقَ بفتح السين والباء: الرهنُ الذي يُجْعَلُ للسابق.

الفصل الثاني

في ذكر مسابقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيله وذكر من ركبها من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم للمسابقة بها

ذكر أبو عبيدالبكري رحمه الله تعالى في كتابه «المستوعب»[1] عن الزهري قال: سبق سهل بن سعد الساعدي على فرسٍ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) م ط (في هذا الموطن): الموعب (فهل هو كتاب آخر غير المستوعب).

يقال له «الظرب» فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بُرْداً يمانياً. وسبق أبو أُسَيْد الساعدي على فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له: «لزاز» فلما طلع الفرس جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه، واطلع من الصف وقال: كأنه بحر، وكسا أَبا أُسَيد حلةً يمانية.

وروى قاسم بن ثابت رحمه الله تعالى عن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: أَجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسَهُ الأدهمَ مع خيولِ المسلمين من المحصّب بمكة، فجاء فرسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقاً، فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه حتى إذا مرَّ به قال: إنه لبحر، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: الحطيئة كاذبٌ حيث يقول[1]: [من الطويل]

وإن جيادَ الخيلِ لا تستفزُّنَا ولا جاعلاتُ العاجِ فوق المعاصمِ

لو كان أَحدٌ صابراً عن الخيل لكان أَحَقَّهم بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

فوائد لغوية في أربع مسائل:

الأُولى: في «المحكم» البُرْد ثوب فيه خطوط وخصَّ بعضهم به الوشيَ، والجمع: أَبْرادٌ وبُرُودٌ. انتهى.

قلت: وهو أَنواع: في «الغريب المصنف»: البرد المفوَّف وهو الذي فيه بياضٌ وخطوطٌ بيضٌ، والشرعبيَّةُ والسَّيَرَاءُ: برودٌ أَيضاً، والقِطْر: نوع من البرود. وفي «الصحاح» (٢١٣، ٦٢١، ١٩٥٦) بُرْدٌ مكعّب: فيه وشي مربع، والحِبرَة مثل العنبة، والجمع حِبَر وحِبَرات. والمسهم: البرد المخطط. انتهى.

الثانية: قال ابن قتيبة في «الأدب» والهروي في «الغريبين» وابن فارس في «المجمل» والفارابي في «الديوان» (٣:٢٧) والجوهري في «الصحاح» (٤:١٦٧٣)

---

(١) ديوان الحطيئة: ٣٩٦ (عن أنساب الخيل: ٨).

والثعالبي في «الفقه» (٢٤٤) وابن الأنباري في «الزاهر» (١:٥٥٦) وكراع في «المنتظم» وابن سيده في «المحكم» وابن السيِّد في «المثلث» والقزاز في «الجامع»: لا تكون الحلة إلا ثوبين؛ قال ابن الأنباري والثعالبي: من جنس واحد؛ قال كراع: من صنفٍ واحد؛ قال الهروي والجوهري وابن السيد: إزار ورداء؛ وقال ابن سيده: إزار ورداء: برد أو غيره، قال: والجمع حُلَل وحِلال؛ وأنشد ابن الأنباري: [من الرجز]

ليس الفتى بالْمُسْمِنِ المختالِ ولا الذي يَرْفُلُ في الحِلالِ

قال القزاز: ومما يدلُّ على أنها لا تكونُ إلا ثوبين حديثُ معاذ بن عفراء أَن عمرَ بعث إليه بحلّةٍ فباعها واشترى بها خمسةَ أَرؤسٍ من الرقيق فأعتقهم، ثم قال: إن رجلاً آثر قِشْرتين يلبسهما على عتقِ هؤلاء لغبينُ الرأي؛، فقال: قشرتين يعني ثوبين.

قلت: ومن أَوضح الشواهد على أَن الحلة ثوبان ما ذكره أَبو الفرج الجوزي في كتابه «مختصر الحلية» (١:٢١٥) عن العتبي قال[1]: بُعِثَ إلى عمرَ حُلَلٌ فقسمها فأَصاب كلَّ رجلٍ ثوبٌ، ثم صعد المنبر وعليه حُلَّة، والحلةُ ثوبان، فقال: أيها الناس ألا تسمعون؟ فقال سلمان: لا نسمعُ، فقال عمر: ولِمَ يا أَبا عبدالله؟ قال: لأنك قسمت علينا ثوباً ثوباً، وعليك حُلَّةٌ، فقال: لا تعجلْ يا أبا عبدالله، ثم نادى يا عبدالله، فلم يجب أَحد، فقال: يا عبدالله بن عمر، فقال: لبيك يا أَمير المؤمنين. قال: نشدتك الله: الثوبُ الذي ائتزرتُ به أَهو ثوبك؟ قال: اللهمَّ نعم، قال سلمان: نسمع.

وفي المشارق» (١:١٩٦): والحلة ثوبان غير لَفْقَين إزار ورداء، سُمّيا بذلك لأنه يحلّ كلُّ واحدٍ منهما على الآخر، قال الخليل: ولا يقال حلَّة لثوب واحد. وقال أَبو عبيد: الحُلَل: برود اليمن. وقال بعضهم: إنما تكون حُلة إذا كانت جديدةً

(١) عيون الأخبار ١:٥٥ ونثر الدر ٢:٣٣ والتذكرة الحمدونية ١:١٢٦ وسيرة عمر لابن الجوزي: ١٤٧ والمصباح المضيء: ١٦٢.

لحلها عن طيها، والأول أشهر وأكثر. وفي الحديث أنه رأى رجلاً عليه حُلَّة ائتزر بإحداهما وارتدى بأخرى فهذا يدل على أنهما ثوبان. وفي الحديث الآخر: ورأى حُلَّةً سيراء، وله حُلّة سندس، وهذا يدلّ عل أنها واحدة. انتهى. وقال ابن السيد في «المثلث»: الحُلة بالضم إزار ورداء، ولا يقال: حلة لثوب واحدٍ إلا أن يكون له بطانة.

الثالثة: قول الحطيئة: لا يستفزُّنا أي لا يستخفنا. قال الهروي في قول الله عز وجل: ﴿واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْت مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ (الإسراء: ٦٤) معناه استدعهم بدعاءٍ تستخفُّهم به إلى إجابتك بصوتك، أي بدعائك.

الرابعة: قوله جاعلات العاج فوق المعاصم يريد النساء، وكنَّ يتخذن أساورَ من عاجٍ يتحلَّيْنَ بها، وتسمى المسك ـ بفتح الميم والسين ـ الواحدة: مسَكَة بالفتح أيضاً قاله غير واحد.

الفصل الثالث
في ذكر أنسابهم وأخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ـ سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه: في «الاستيعاب» (٦٦٤) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثَعْلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الساعدي الأنصاري، يكنى أبا العباس.

وعن الزهري عن سهل بن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن خمس عشرة سنة، وعمر سهل بن سعد حتى أدرك الحجاجَ وامتحن معه. ذكر الواقدي وغيره قال: وفي سنة أربع وسبعين أرسل الحجاجُ إلى سهل بن سعد يريد إذلاله فقال: ما منعك من نَصْرِ أمير المؤمنين عثمان؟ قال: قد فعلته، قال: كذبتَ ثم أمر به فخُتِمَ في عنقه، وختم في عنقِ أنسٍ أيضاً، حتى ورد كتابُ عبدالملك فيه، وختم في يد جابر، يريدُ إذلالهم بذلك، وأن يجنبهم الناسَ ولا يسمعوا منهم.

واختلف في وقت وفاةِ سهل بن سعد، فقيل توفي سنة ثمان وثمانين وهو ابن ست وتسعين وقيل توفي سنة إحدى وتسعين وقد بلغ مائة سنة، ويقال إنه آخر من بقي بالمدينة من أَصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وحكى ابن عيينة عن أَبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: لو متّ لم تسمعوا أَحداً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن سفيان بن عيينة قال: سمعت سلمة بن دينار أَبا حازم يقول: كان سهل بن سعد آخر من بقي من أَصحاب رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم. انتهى.

٢ ـ **أَبو أسيد الساعدي**: قال الحافظ عبدالغني في «المؤتلف والمختلف» في باب السين بضم الهمزة: أَبو أسيد الساعدي مالك بن ربيعة له صحبة.

وفي «الاستيعاب» (١٣٥١، ١٥٩٨) في باب الميم من الأَسماء وباب الهمزة من الكنى: مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، أَبو أُسَيْد الأَنصاري الساعدي. وصحَّ عن ابن إسحاق: أَن البدن بالباء والنون، واختلفوا في فتح الدال وكسرها، واختلف فيه عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب فرواه محمد بن فليح عن موسى بن عقبة: ابن البدن: بالنون، ورواه إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى: ابن البدي بالياء، فصحَّف، والله أعلم. وهو مشهور بكنيته، شهد بدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. يعد في الحجازيين. مات بالمدينة سنة خمس وستين، وقال المدائني: سنة ستين، وقال الواقدي وخليفة: سنة ثلاثين. قال أَبو عمر: هذا اختلافٌ متباين جداً، وهو عندي وهم، والله تعالى أَعلم. وهو آخر من مات من البدريين، وهو ابن خمس وسبعين سنة، وقيل ابن سبع وثمانين سنة وقد ذهب بصره.

الباب التاسع عشر

في صاحب الراحلة

ذكر ابن جماعة رحمه الله تعالى في «مختصر السير» له في ذكر خدم النبي صلى الله عليه وسلم: أَسلع بن شريك بن عوف قال: وكان صاحبَ راحلةِ النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وقال أبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في «الاستيعاب» (١٣٩): أَسْلَع بن شَرِيك الأَعْوَجِي[1] التميمي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبُ راحلته، نزل البصرة. انتهى.

فائدة لغوية:

في «الصحاح» (٤: ١٧٠٧): الراحلة: الناقة التي تصلحُ لأن تُرْحَل، وكذلك الرَّحُول، ورحلت البعير أَرحَلُه رحلاً: إذا شددتُ على ظهره الرحل، والرحلُ أَصغرُ من القَتَب، والجمع: الرحال وثلاثة أَرحل، ويقال: الراحلة: المَرْكَبُ من الإبل ذكراً كان أَو أُنثى. وفي «المشارق» (١: ٢٨٥) الراحلة: الناقةُ النجيبة الكاملةُ الخَلْقِ، الحسنة المنظر، المدربة على الركوب والسيرِ والحمل.

---

(١) صوابه الأعرجي ـ بالراء ـ نسبة إلى بني الأعرج بن كعب، انظر طبقات خليفة: ٤٤ والاصابة ١: ١٢١.

الباب الموفي عشرين

في صاحب البغلة

ذكر ابن جماعة رحمه الله تعالى في «مختصر السير» له، في ذكر خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم: عقبة بن عامر الجهني، قال: وكان صاحبَ بغلته صلى الله عليه وسلم ويقودُ به في الأسفار.

تنبيـــه:

يأتي ذكر عقبة بن عامر في «باب القائد» الذي يلي هذا ونسبه وأخباره.

الباب الحادي والعشرون

في القائد
وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر من كان يقود برسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته وبغلتَهُ

روى أَبو داود (١: ٤٢٥) رحمه الله تعالى عن أُم الحصين قالت: حججتُ مع النبيّ صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، فرأَيت أُسامة وبلالاً، وأَحدهما آخذٌ بِخطَام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم، والآخر رافعٌ ثوبه يستره من الحر حتى رمى جَمْرَةَ العقبة.

وذكر ابن جماعة في «مختصر السير» أَن عقبة بن عامر الجهني كان صاحب بغلته صلى الله عليه وسلم يقودُ به في الأسفار. انتهى.

الفصل الثاني
في ذكر أَنسابهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ــ **بلال رضي الله تعالى عنه**: تقدم ذكره في باب المؤذن فأَغنى ذلك عن الإعادة الآن.

٢ ــ **أُسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه**: يأْتي ذكره في باب صاحب المظلة.

٣ ــ **عقبة بن عامر الجهني**: قال أَبو عمر في «الاستيعاب» (١٠٧٣) عقبة بن

عامر بن عبس الجهني ــ من جهينة ــ ابن زيد بن سُود بن أَسْلم بن عمير بن الحاف بن قُضَاعة. وقد اختلف في هذا النسب على ما ذكرنا في باب القبائل، وذكر له ثماني كنى، منها: أَبو عامر، وهو قول خليفة بن خياط، ومنها: أبو حمّاد، وهو قول يحيى بن معين وابن لهيعة، وسأَتركها اختصاراً.

قال أَبو عمر: سكن عُقْبَةُ بنُ عامرٍ مصرَ، وكان والياً عليها، وابتنى بها داراً، وتوفي في آخر خلافة معاوية.

تنبيــه:

أَشار أَبو عمر إلى الاختلاف في نسب عقبة بن عامر، والذي عليه أَبو عبيد وابن حزم (٤٤٤) في جماهرهما في جهينة: أَنه ابن زيد بن ليْث بن سُود بن أَسْلُم بن الحاف بن قُضاعة، بزيادة ليث بين زيد وسُود، ونَقْصِ عميرٍ بين أَسْلُم والحاف.

قال ابن حزم (٤٤٠): أَسلُم بن الحاف ــ بضم اللام.

فائدة لغوية:

في «الصحاح» (٣: ١٢٨٢) لهيعة: اسم رجل، ومن «الكتاب الجامع لما في كتاب المبرد وكتاب ابن دريد وكتاب ابن النحاس وكتاب ابن جنّي في الاشتقاق» ــ ولا أَعرف مؤلفه ــ وهو غير كتاب ابن سيِّد الذي اختصر فيه كتابَ ابن دريد وكتابَ قطرب وابن النحاس وكتابَ ابن قتيبة في الأدب: اللَّهع: التشدق في الكلام، ومنه اشتقاق لهيعة، مقلوب من الهلع. وقال الخليل: اللهيع من الرجال: المسترسل إلى كلِّ أَحد، لَهع يلهعُ لهاعةً، ومنه سمّي: لهيعة. انتهى وفي «المحكم» (١: ٦٦) لابن سيده نحو منه.

الباب الثاني والعشرون

في الحادي

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في ذكر من حدا بمشهدٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أمرُ صلى الله عليه وسلم بعضَ أصحابه بالنزولِ ليحدوَ بهم:

روى النسائي رحمه الله تعالى عن عبدالله بن رواحة رضي الله تعالى عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير له، فقال له: يا ابن رواحة انزل فحرك الركاب، فقال: يا رسولَ الله قد تركتُ ذلك، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: اسمعْ وأَطِعْ، قال: فرمى بنفسه فقال: [من الرجز]

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... وما تصدَّقْنا وما صَلَّينا

فأَنزلن سكينةً علينا ... وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقينا

(٢) اتخاذه صلى الله عليه وسلم حاديين:

روى النسائي رحمه الله تعالى عن عبدالله بن مسعود قال: كان معنا ليلة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس حاديان.

(٣) من حدا بالرجال دون النساء:

في «الاستيعاب» (١٤٠) عن أبي داود الطيالسي (٢٧٢) عن أَنس قال: كان أَنجشة يحدو بالنساءِ، وكان البراءُ بن مالك يحدو بالرجال، وكان أَنجشة حَسَنَ الصوت، وكان إذا حَدا أَعنقتِ الإبل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أَنجشة رويدك سَوْقَكَ بالقوارير. انتهى.

(٤) من حدا بالنساء:

روى البخاري[1] رحمه الله تعالى عن أَنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، وكان معه غلام أَسود يقال له: أَنجشة، يحدو، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ويحك يا أَنجشة رويدك بالقوارير. انتهى.

فوائد لغوية في خمس مسائل:

الأولى: في «الصحاح» (٢٣٠٩٠٦) الحدْو: سَوْقُ الإبل والغِناءُ لها، وقد حدوتُ الإبل حَدْوا وحُداء، زاد في «المحكم» (٣: ٢٧٤) وحدا بها، ورجل حَادٍ وحَدّاء، وأَنشد غيرهما: [من الرجز]

فغنِّها فهي لكَ الفداءُ إن غناءَ الإبلِ الحُداءُ

الثانية: في «المشارق» (٢: ٢١٦) السكينة: قيل هي الرحمة، وقيل الطمأْنينة، وقيل الوقار وما يسكّن به الإنسان.

الثالثة: في «الديوان» (٢: ٣٢٠) أَعنق البعير: وهو أَن ينفسح في سيره، والعَنَق ــ بفتح العين والنون معاً: السير الفسيح.

الرابعة: في «الصحاح» (١: ٤٧٦) فلان يمشي على رُودٍ أَي على مهل. وفي «الديوان» وهو تكبير رُوَيْد، وأَنشد [من البسيط]

* كأَنه ثملٌ يمشي على رُودِ *

الخامسة: في «المشارق» (٢: ١٧٧) القوارير: أَواني الزجاج، الواحدة قارورة شُبِّهْنَ لضعفِ قلوبهنّ بقوارير الزجاج، وقيل: خشي عليهن الفتنة عند سماع الحداءِ الحسن، ويحتمل أَنه أَشار إلى الرفقِ في السير لئلا تسرعَ الإبلُ بنشاطها بالحداء فيسقطن.

---

(١) قارن بالبخاري ٨: ٤٤، ٥٥، ٥٨.

الفصل الثاني
في ذكر أنسابهم وأخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ــ **عبدالله بن رواحة رضي الله تعالى عنه**: تقدَّم الكلام عليه في باب الشاعر فأغنى عن الإعادة.

٢ ــ **البراء بن مالك رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (١٥٣) البَرَاء بن مالك بن النَّضْر أخو أنس بن مالك لأبيه وأُمه، شهد أُحداً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد الفضلاءِ ومن الأبطال الأشداء، قَتَلَ من المشركين مائةَ رجلٍ مبارزةً سوى من شارك فيه.

وعن ابن سيرين قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ألاّ تستعملوا البَراءَ بن مالك على جيشٍ من جيوش المسلمين فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم. وعن ابن إسحاق قال: زحف المسلمون إلى المشركين في «اليمامة» حتى ألجئوهم إلى الحديقة وفيها عدو الله مسيلمة، فقال البراء: يا معشرَ المسلمين ألقوني عليهم، فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم يقاتلهم على الحديقة حتى إذا فتحها على المسلمين ودخل عليهم المسلمون فقتل الله مسيلمة.

(١٥٥) وعن أنس قال: رمى البراءُ بنفسه عليهم، فقاتلهم حتى فتح الباب وبه بضعٌ وثمانون جراحةً من بين رمية بسهم وضربة، فَحُمِلَ إلى رحله يُدَاوَى، فأقام عليه خالد شهراً.

(١٥٤) وعن ابن شهاب عن أنس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كم من ضعيف مستضعف ذي طمرين لا يُؤْبَهُ له لو أقسم على الله لأبَرَّه، منهم البراءُ بن مالك، وأن البراء لقي زحفاً من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا له يا براء: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنك لو أقسمتَ على الله لأبرَّك، فأقسمْ على ربك، قال: أقسمتُ عليكَ يا ربِّ لما منحتنا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرةِ السوس فأوجعوا في المسلمين، فقالوا له: يا براء أقسمْ على

ربك، فقال: أقسمتُ عليك يا ربِّ لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيِّي صلى الله عليه وسلم فَمُنِحُوا أكتافهم وقُتِلَ البَرَاءُ شهيداً.

قال أبو عمر (١٥٥): وقيل إن البَرَاء إنما قتل بتسْتر، وافْتُتِحَت السوس وأَنْطَابُلُس وتسْتر سنة عشرين، إلا أن أهل السوس صالح منهم دِهْقَانهم على مائة وأسلم المدينة، وقتله أبو موسى، إذ لم يَعُدَّ نفسه منهم. انتهى.

فوائد لغوية في خمس مسائل:

الأولى: البراء: في «الاشتقاق» لابن سيد: فَعَال من برئت بالشيء، وتقول: أنا بريء من كذا أي بَرَاء.

الثانية: الفارابي: البِضْع ـ بكسر الباء وسكون الضاد: ما دون العشرة.

الثالثة: في «الأفعال» لابن القوطية (١: ٤٤): أَبَهْتُ وَأَبِهْتُ للشيء ـ بفتح الباء وكسرها ـ أَبَها وأَبْها: تنبهت له.

الرابعة: «تسْتر» بفتح التاء الأولى وضم الثانية وسكونِ السين المهملة بينهما، ضبطها الحافظ أبو علي الغساني بخطه[1]. قال الرشاطي: هي كُورَةٌ من كُوَر الأهواز.

الخامسة: في المعجم (١: ١٩٩): أَنْطَابُلُس بفتح أوله وبالطاء المهملة وبالباء المعجمة بواحدة مضمومة والسين المهملة: مدينة من بلاد بَرْقَة بين مصر وإفريقية.

٣ ـ **أنجشة**: في «الاستيعاب» (١٤٠) أنجشة العبد الأسود، وكان يسوق أو يقود بنساء النبي صلى الله عليه وسلم عامَ حجةِ الوداع، وكان يحدو وكان حَسَنَ الحُدَاءِ، وكانت الإبلُ تزيدُ في الحركة لحدائه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: رويداً يا أنجشة، رفقاً بالقوارير؛ يعني النساء. انتهى.

---

(١) علق هنا بهامش ط: هذا غلط فاحش (أي ضبط تستر) وأطال في التعليق؛ وصوابه تُسْتَرَ (بضم أوله وفتح التاء الثانية).

الفصل الثالث
في ذكر أول من حدا الإبل من العرب

في «العمدة» (٢: ٣١٤) لابن رشيق: يقال إن أول من أُخِذ من ترجيعه الحداء مضر بن نزار سقط عن جملٍ فانكسرت يده فحملوه وهو يقول: وايَدَاهْ وايَدَاهْ، وكان أحسن الناس صوتاً وجرْساً، فأصغتِ الإبلُ إليه وجدَّت في السير، فجعلت العرب ــ مثالاً لقوله ــ هايدا هايدا، يحدون به الإبل، ذكر ذلك عبدالكريم في كتابه.

تنبيــه:

هكذا قال ابن رشيق فيما يحدون به الإبل: هايدا هايدا، والصحيح: هِيد وهَيد بكسر الهاء وفتحها، وهدا، قاله الجوهري وابن سيده. انتهى.

ولذي الرمةِ يعني إبلاً[1] [من الرجز]

يخرجن من ذي ظُلَمٍ مَنْضُودِ شــوائيــاً للســائـقِ الغـرّيــدِ
إذا حــداهــنَّ بِـهــيــدِ هِــيــدِ[2]

من ديوان شعره.

وزعم ناسٌ من مضر أَن أَول من حدا رجلٌ منهم كان في إبله أَيام الربيع فأَمر غلاماً له ببعضِ أَمره، فاستبطأَه فضربه بالعصا فجعل يشتدّ في الإبل ويقول: يا يداه يا يداه، فقال له: الزم، الزم، فاستفتح الناس الحداء من ذلك.

وذكر ابن قتيبة أَنهم قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم.

وحكى الزبير بن بكار في حديث يرفعه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم من بني غفار سمع حاديهم بطريق مكة ليلاً فمال إليهم: إن أَباكم مُضر

---

(١) ديوان ذي الرمة ١: ٣٤٧.

(٢) المنضود: الذي طبقت ظلماته بعضها فوق بعض؛ شوائياً: سوابقاً؛ الغريد: المطرب المرجع في صوته؛ هيد هيد: حكاية صوت الحداء.

خرج إلى بعض رعائه فوجد إبله قد تفرقت ليلاً فأخذ عصا فضرب بها كفَّ غلامه، فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح: وايداه وايداه، فسمعت الإبلُ ذلك فعطفت عليه، فقال مضر: لو أَشتقُّ مثلَ هذا لانتفعتْ به الإبل واجتمعت فاشتقّ الحداء.

فائدة لغوية:

في «ديوان الأدب» (٢:٢٥٢) لزِمت الشيء أَلزمه لزوماً: بكسر الماضي وفتح المستقبل؛ وقال ابن القوطية (٣:١٣٣): لم أُفارقه.

الباب الثالث والعشرون

في صاحب السلاح
وفيه ذكر سلاح النبي صلى الله عليه وسلم
وفيه فصلان

الفصل الأول
في إعداد رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاحَ في سبيل الله، وذكر من تولَّى النظر في ذلك في عهده عليه الصلاة والسلام

روى مسلم (٢:٥٢) رحمه الله تعالى عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: كانت أَموال بني النضير مما أَفاء الله على رسوله مما لم يُوجِفْ عليه المسلمون بخيلٍ ولا ركاب، فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، فكان ينفق على أَهله نفقةَ سنة، وما بقي يجعله في الكُراع والسلاح عدةً في سبيل الله عز وجل، قال مسلم: وربما قال معمر: يحبس قوتَ أَهله سنةً. انتهى.

وقد تقدم ما ذكره ابن إسحاق (٢:٢٤٥) رحمه الله تعالى من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري أَخا بني عبدالأشهل رضي الله تعالى عنه بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع له بها خيلاً وسلاحاً. انتهى.

فائدة لغوية:

في «المحكم» (٣:١٤٠): السلاح: اسم جامع لآلة الحرب وخصَّ بعضهم به ما كان من الحديد، يؤنث ويذكر، وربما خُصَّ به السيف، والجمع أَسلحة، ورجل سالح: ذو سلاح، كتامر ولابن، والمتسلح: لابس السلاح.

تنبيــه:

قد تقدم ذكر سعد بن زيد في بـاب صاحب الخيل من هذا الجزء[1] فأَغنى ذلك عن إِعادته هنا.

الفصل الثاني
في ذكر سلاح النبـي صلى الله عليه وسلم

وفيه ثماني مسائل:

المسألة الأولى: في ذكر السيوف وعددها:

في «مختصر السير» لابن جماعة: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أَسياف «مأْثور» وهو أَولُ سيفٍ ملكه، ورثه من أَبيه، و«العضْب» و«ذو الفقار» من غنائم بدر، وهو الذي رأَى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا، كأَن في ذباب سيفه ثلمة، فأَوَّلها هزيمةً، فكانت يومَ أُحد. وقيل أَهداه له الحجَّاجُ بن عِلَاط، وكان لا يفارق النبيّ صلى الله عليه وسلم، وكانت قائمته وقَبِيعته وحلقته وذوائبه وبكرته ونعله من فضة.

وثلاثة أَسيافٍ أَصابها رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني قَيْنُقاع: القلَعي والبتَّار والحتف. وكان عنده بعد ذلك صلى الله عليه وسلم: الرَّسوب والمِخْذَم والقضيب. انتهى.

وقال غير ابن جماعة: كان المِخْذَمُ والرَّسوب للحارث بن أَبي شَمِر الغسَّاني نذرهما للبيت الذي كان في طيء وجعلهما فيه. ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله تعالى عنه ليهدمَ البيتَ المذكور هدمه وجاء بالسيفين إِلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن هشام في «السير»: حدثني بعض أَهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أَبي طالب فهدمها فوجد فيها سيفين، يقال لأحدهما

---

(١) انظر ما تقدم ص: ٣٨٥.

الرَّسُوب، وللآخر المِخْذم، فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوهبهما له، فهما سيفا علي رضي الله تعالى عنه. انتهى.

وقد ذكرهما علقمة بن عبدة في قصيدته التي مدح بها الحارث بن أَبي شمر حيث يقول[1]: [من الطويل]

مُظاهر سِرْبَالَيْ حديدٍ عليهما عقيلا سيوفٍ مِخْذَمٌ وَرَسُوبُ

تقليده صلى الله عليه وسلم السيف:

روى البخاري (٤:٣٧) رحمه الله تعالى عن أَنس رضي الله تعالى عنه: استقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس عُرْي ما عليه سَرْجٌ وفي عنقه سيف.

وروى الترمذي (٣:١١٧) رحمه الله تعالى عن أَنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أَجرأ[2] الناس، وأَجود الناس، وأَشجع الناس، قال: وقد فزع أَهلُ المدينة ليلة سمعوا صوتاً، فتلقاهم النبيّ صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة عُرْي وهو متقلّدٌ سيفه فقال: لم تراعوا[3]. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وجدته بحراً، يعني الفرس.

قال أَبو عيسى: هذا حديثٌ صحيح.

فائدة لغوية:

في «الصحاح» (١:٥٢٤، ٥٤٠) و«وفقه اللغة»: القلادة للعنق، وزاد في «الصحاح»: وقلَّدْتُ المرأةَ، وتقَلَّدَتْ هي، ويقال: تقلَّدتُ السيف، قال الشاعر من [الكامل المجزوء]

يا لَيْتَ زَوْجَكَ قد غَدَا مُتَقَلِّداً سَيْفاً ورُمْحَا[4]

---

(١) ديوان علقمة: ٤٤.

(٢) الترمذي: من أحسن.

(٣) لم تراعوا: مكررة في الترمذي.

(٤) هذا شاهد، لأن الرمح ليس مما يتقلد ولهذا فالتقدير متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً (اللسان: قلد) وهو كقولك: علفتها تبناً وماء بارداً أي وسقيتها ماء بارداً.

ومُقَلَّدُ الرجل: موضعُ نِجَادِ السيفِ على مَنْكِبِهِ، والنجادُ: حمائلُ السيف. وفي «المخصص» (٦:٢٦) والجمع: النُّجُد.

وفي «جامع اللغات» و«المحكم» (٣:٣٨٠): الحِمالة والحميلة والمِحْمَل، في «المحكم»: علاقة السيف وفي «الجامع»: ما يُحْمَلُ به السيف، وأنشدا معاً:

* حتى بلَّ دمعيَ مِحْمَلي[1] *

وجمع الحميلة والحمالة: حمائل في «المخصص» وجمع المِحْمَل: محامل في «الجامع». وجاء الحِمالة مكسورة عن الفارابي.

وضعه صلى الله عليه وسلم سيفه في حجره:

ذكر ابن إسحاق (٢:٢٠٥) رحمه الله تعالى في «السير» في خبر غزوة ذات الرقاع عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً من بني محارب يقال له غورث قال لقومه من غَطَفان ومحارب: ألا أَقتلُ لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أَفتكُ به، فأَقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس، وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره، فقال: يا محمد أَنظرُ إلى سيفك هذا ــ وكان محلّى بفضة فيما قال ابن هشام ــ قال: نعم. قال: فأَخذه فاستله، ثم جعل يهزُّه ويَهم به، فيكبته الله عز وجل، ثم قال: يا محمد أَما تخافني؟ قال: وما أَخاف منك؟ قال: أَما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا، يمنعني الله منك، ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فردَّه عليه، فأَنزل الله تعالى: ﴿يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوْا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوْا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّـهَ وعلى اللَّـهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُون﴾ (المائدة: ١١).

---

(١) من بيت لامرىء القيس، وهو بتمامه:

ففاضت دموع العين مني صبابة ... على النحر حتى بل دمعي محملي

حلية سيفه صلى الله عليه وسلم:

روى الترمذي (٣:١١٨) رحمه الله تعالى عن طالب بن حجير[١] عن هود ــ وهو ابن عبدالله بن سعد[٢] ــ عن جده رضي الله تعالى عنه، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ يومَ الفتح وعلى سيفه ذَهَبٌ وفضة، قال طالب: فسألته عن الفضة فقال: كانت قبيعةُ السيفِ فضةً.

وروى النسائي (٨:٣١٩) رحمه الله تعالى عن أَنس رضي الله تعالى عنه قال: كانت نعلُ سيفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة، وقبيعةُ سيفه فضة، وما بين ذلك حَلَقُ فضة.

فوائد لغوية وهي عشر:

الأُولى: في «الجمل المعقبة» لابن المناصف: سيفٌ مأْثور: فيه أَثْر ــ بفتح الهمزة ــ ويقال أُثْر ــ بضمها ــ وهو الوشي الذي يكون في صفحته. وقال ابن سيده في «المحكم»: الأَثْر والإِثْر: فِرِنْدُ السيفِ ورونقه، والجمع أُثور وسيفٌ مأْثور.

الثانية: العضْبُ والمِخْذَمُ والرَّسُوب: كلُّها القاطع، وقيل في الرسوب: إنه الذي يرسب في الضريبة أَي يعرضُ فيها لقطعه ومضائه، كلُّ ذلك من كتاب «الجمل» أَيضاً وكذلك البتار، ويقال: الباتر أَيضاً، وفي «الصحاح» (٢:٥٨٤) الباتر: السيفُ القاطع.

الثالثة: في «الديوان» (١:٣٧٩) في باب فَعَال بفتح الفاء، الفَقَار: جمع فقارة، وذو الفقار: سيف النبي صلى الله عليه وسلم. انتهى.

قال ابن المناصف في «المعقبة»: المفقر من السيوف ما فيه حزوزٌ مطمئنةٌ عن متنه، ومنه ذو الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن سيده: شبهوا

---

(١) طالب بن حجير العبدي أبو حجير البصري، موثق، أخرج له الترمذي هذا الحديث التالي وحده في قبيعة السيف (تهذيب التهذيب ٥:٨).

(٢) هود بن عبدالله بن سعد العبدي العصري روى عن جده لأمه: مزيدة بن جابر (تهذيب التهذيب ١١:٧٤).

تلك الحزوزَ بالفَقار؛ وقال ابن المناصف، قال الأَصمعي: أَحضر الرشيد ذا الفقار يوماً بين يديه فاستأْذنته في تقبيله، فأَذِنَ لي فَقبَّلْتُهُ، واختلفت أَنا وبعض الحاضرين في عِدَّةِ فقاره: هل هي سبع عشرة أَو ثماني عشرة. وذكر قاسم في «الدلائل» أَن ذلك كان يُرَى في رونق سيفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبيهاً بفقار الحية، يراه الناظر فإذا التُمِسَ لم يوجَدْ.

الرابعة: في «الصحاح» (٣: ١٢٧١) مَرْج القَلعة بالتحريك موضع بالبادية، والقَلَعِيّ: سيف منسوب إِليه، قال الراجز[1]:

مُحَارَفٌ بالشَّاءِ والأَباعِرِ مُبَارِكٌ بالقَلَعِيِّ الباتِرِ

الخامسة: في «الديوان» (١: ١١٩) الحَتفُ بالفتح: الموت، يقال: مات فلان حَتْفَ أَنفه أَي مات من غير ضربٍ ولا قتل. انتهى.

فيحتمل أَن يكون السيف مسمًّى من ذلك.

السادسة: في «الصحاح» (١: ٢٠٣) سيفٌ قاضب وقضيب: أي قطَّاع، والجمع: قواضب وقُضُب، وقَضَبهُ أَي قطعه، واقتضبه: أَي اقتطعه من الشيء. وقال ابن المناصف: القضيب: السيف اللطيف ليس بالعريض.

السابعة: في مواضع الحلية من السيف.

قائمة السيف وقائِمُهُ: مقبضه، وقبيعته: رأْسُ أَعلى القائم، والشاربان: طرفا حديدة في أَسفل القائم معترضة تقع إِذا أُغمد السيف على فم الغمد، والنَّعْلُ: حديدةٌ يلبسها طرف الغمد؛ قال جميع ذلك ابن المناصف في «المعقبة».

وفي «المحكم»: البكرات: الحلق التي في حلية السيف شبيهة بفتخ النساء. انتهى.

قلت: وجاء في الحديث عن مرزوق الصيقل، قال: صقلت سيفَ النبي

---

(١) الرجز في اللسان (حرف) والمحارف: المحروم وهو خلاف مبارك.

صلى الله عليه وسلم، ذا الفقار، قال: وكانت قبيعته من فضة وفي وسطه بكرة أو بكرات فضة؛ ذكره أبو عمر في «الاستيعاب».

والحلقة: التي فيها الحمائل، وهما حلقتان. ذكر ابن حيان الأصبهاني في كتاب «أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم» (١٤١) عن عامر قال: أخرج إلينا علي بن الحسين سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قبيعته والحلقتان اللتان فيهما الحمايل فضة.

تنبيـــه:

قول ابن جماعة: وذوائبه يعني السيف: لم أر أحـداً قبله ذكر ذوائب للسيف، وأقرب ما يُصْرَفُ إليه ذلك أن يكونَ أُريدَ بها الشاربان لاسترسالهما من المقبض وكأنهما ذؤابتان له.

الثامنة: ذكـر ابن سيده في «المخصص» (١٦:٦) عن ابن دريد: السيف مشتقٌّ من قولهم: ساف ماله أي هلك، فلما كان السيف سبباً إلى الهلاك سمي: سيفاً. وعن أبـي زيد: الجمع أسياف وسيوف. وعن ابن السكّيت: رجلٌ سيَّاف وسائف: معه سيف، وعن أبـي عبيد: المُسيف: المتقلّد للسيف، فإذا ضَرَبَ به فهو سائف، وقد سفته سيفاً.

التاسعة: غَوْرث على وزن كَوْثَر: اسمٌ لرجلٍ لم يقع في كتاب الاشتقاق، ويحتمل أن يكون فوعلاً من الغرث بمعنى الجوع.

العاشرة: في «الصحاح» (٣٦٢:١) الكَبْتُ: الصرف والإذلال. يقال: كبت الله العدوَّ أي صرفه وأذلَّه.

المسألة الثانية: في ذكر الرماح والحراب والعنزات:

قال البخاري (٤٩:٤): يُذكر عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: جُعِلَ رزقي تحت ظلّ رمحي، وجعل الذلُّ والصَّغَار على من خالف أمري.

عدد أَرماحه صلى الله عليه وسلم:

في «مختصر السير» لابن جماعة أَنه صلى الله عليه وسلم كان له خمسة أَرماح: ثلاثة أَصابها من سلاح بني قَيْنُقاع، ورمح يقال له: «المُثْوِي» من الثواء أَي أَن المطعون به يقيم به في مكانه، ورمح يقال له: المثنّي. وكانت له صلى الله عليه وسلم حربة يقال لها «النبعة»، وحربة كبيرة اسمها «البيضاء»، وحربة صغيرة دون الرمح يقال لها «العَنَزَة» يدعم عليها ويمشي بها وهي في يده، وكانت تُحْمَلُ بين يديه في العيد حتى تُرْكَزَ أَمَامه فيتخذها سترة يصلّي إليها، قيل إنه أَخذها من الزبير بن العوام وأَخذها الزبير من النجاشي وكانت له عنزة أُخرى.

وذكر ابن إسحاق في «السير» (٢: ٨٤) في أَخبار يوم أُحد قال: لما أَسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشِّعب أَدركه أُبيّ بن خلف وهو يقول: أَين محمد؟ لا نجوتُ إِنْ نجوتَ؛ فقال القوم: يا رسولَ الله أَيعطفُ عليه رجلٌ منا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه، فلما دنا تناولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربةَ من الحارث بن الصمة، ــ يقول بعض القوم فيما ذكر لي ــ فلما أَخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضةً تطايرنا عنه تطايرَ الشعراء عن ظَهْرِ البعير إِذا انتفض[1]، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنةً تدأدأَ منها عن فرسه مراراً. قال ابن إِسحاق (٢: ٨٤): وكان أُبي بن خلف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول: يا محمد إِن عندي «العود»[2] فرساً أَعْلِفُها كلَّ يوم فَرَقاً من ذُرَةٍ أَقْتُلُكَ عليها[3]، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أَنا أَقتلك إِن شاء الله. فلما رجع إِلى قريش وقد خُدِشَ في عنقه خدشاً غيرَ كبير فاحتقن الدم قال: قتلني والله محمد: قالوا: ذهب والله فؤادك، والله إِنْ بكَ من بأس. قال: إِنه قد كان قال

---

(١) ط والسيرة: انتفض بها.

(٢) السيرة: العوذ.

(٣) السيرة، أعلفه... عليه.

لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليَّ لقتلني. فمات عدو الله بسَرفِ وهم قافلون به[1] إلى مكة. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: الثَّواء: الإقامة بثاء مثلثة، قال الزبيدي: يقال ثَوَى يَثوِي ثواء: أَقام ويقال للمقبور: قد ثوى. انتهى. ولعنترة [من الكامل]:

* طـال الثـواءُ على رسـومِ المنـزلِ[2] *

وقال الفارابي (٤: ٨٩، ١٠٩) في باب فِعل بالكسر يفعَل بالفتح ـ ثوى المكان ـ أي أَقام، وأَثوى لغةٌ فيه وأَنشد: [من الكامل]

* أَثـوى وقـصَّـر لـيـله لـيُـزَوَّدَا[3] *

وقال ابن طريف: ثوى بالمكان وأَثوى، وثوى القتيلُ في مصرعه والميت في قبره، وأَثواني فلان: أَنـزلني قاله في باب فَعَل وأَفْعَل معتلاً بالياء في لامه باتفاق معنى واختلافه.

الثانية: الشعراء: ذبابٌ أَزرق، قاله ابن القوطية.

المسألة الثالثة: في ذكر القسِيِّ والجِعَاب:

في «مختصر السير» لابن جماعة: كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ستُّ قِسِيّ: الزوراء، والروحاء، والصفراء من نبع، والبيضاء من شَوْحط، وقوسٌ من نبع أيضاً تدعى الكَتُوم لانخفاض صوتها إذا رمى بها، انكسرتْ يومَ أُحد، وأَخذها قتادة بن النُّعمان الظَّفَرِي، وقوس من نَبْع أَيضاً تدعى السواد. وكانت له جَعْبة تسمى «الجمع» وتسمى «الكافور».

قال ابن إِسحاق في «السير» (٢: ٨٢) رحمه الله تعالى في أَخبار يوم أُحُد:

---

(١) به: سقطت من م.

(٢) عجزه: بين اللكيك وبين ذات الحرمل (ديوانه: ٢٤٦).

(٣) هو صدر بيت للأعشى وعجزه، فمضت وأخلف من قتيلة موعدا.

حدثني عاصم بن عمر[1] بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقَّتْ سِيتُها فأخذها قتادةُ بن النعمان وكانت عنده. انتهى.

فوائد لغوية في ثماني مسائل:

الأولى: في «الصحاح» (٢:٦٧٣) يقال للقوس: زوراء: لميلها، والزَوَر بالتحريك: الميل.

الثانية: لم أحفظ في تسمية القوس روحاء شَيْئاً، ويحتمل أن يكون من الرَّوَحِ: وهو سعة الخطْوِ، يراد بذلك بعدُ موقع سهمها. قال في «جامع اللغات»: الرَّوَحُ سعةُ الخطو، يقال منه: يعبر أَرْوَحُ من الرَّوَحِ، ومنه قول ذي الرمّة[2]: [من الطويل]

وَرِجْلٌ كظلّ الذِّئْبِ أَلْحَقَ سَدْوَها وظيفٌ أَمَرَّته عصا الساقِ أَروحُ[3]

الثالثة: الصفراء والبيضاء سميتا بذلك لألوانهما.

الرابعة: في «الصحاح» (٥:٢٠١٩) الكتوم: القوس التي لا شقَّ فيها. وفي «فقه اللغة»: الكتوم التي لا ترنّ[4] يقال أَرنت القوسُ: إذا صوَّتَتْ.

الخامسة: في «الصحاح» (١:٤٨٢) السَّداد بالفتح: الصوابُ والقصد من القول والعمل، وأَمرٌ سَدِيدٌ وَأَسَدّ أي قاصد، وقد استد أَي استقام، قال الشاعر:

أُعَلِّمُهُ الرِّماية كلَّ حينٍ فلما استَدَّ ساعدُهُ رَماني[5]

---

(١) م: عمرو.

(٢) ديوان ذي الرمة ٢: ١٢١٩.

(٣) كظل الذئب أي لا ترى من شدة سرعتها (يصف الناقة)؛ السدو: الخطو، الوظيف: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق؛ عصا الساق: عظمها، أمرَّته: فتلته؛ والرَّوَح: اتساع في الرجلين.

(٤) في فقه اللغة: الكتوم التي لا شق فيها.

(٥) يتنازع هذا البيت عدد من الشعراء فهو ينسب إلى معن بن أوس وإلى مالك بن فهم الأزدي وإلى عقيل بن علفة (انظر اللسان: سدد، وديوان معن: ٧٢ والبيان والتبيين ٣: ٢٣١ وحماسة الخالديين ١: ١٢١ والحماسة البصرية ١: ٣٦ والتمثيل والمحاضرة: ٦٦ ونهاية الارب ٣: ٧٠).

وقال الأصمعي: اشتد بالشين ليس بشيءٍ، فيحتمل أن تسمى القوس سداداً لكثرة الإصابة بالرمي عنها.

السادسة: في «فقه اللغة» (٢٥٣) عن المبرد: النَّبْع والشَّوْحط والشِّريان في الشجر التي تعمل منه القِسِيّ، شجرة واحدة وتختلف أسماؤها باختلاف أماكنها: فما كان في قُلَّةِ الجبل فهو النبع، وما كان في سفح الجبل فهو الشريان، وما كان في حضيض الجبل فهو الشوحط.

السابعة: الجَعْبَة: الكِنانة، وتسمى الوَفْضَةُ أيضاً، قاله غير واحدٍ من اللغويين: ويحتمِل تسميتها بالجَعْبَة: أن يكون من جمعها للسهام، وتسميتها بالكافور: أن يكون لسترها للسهام. وفي ديوان الأدب (٢: ١١٢): كَفْرُ الشيء: تَغْطِيتُهُ، كفره يكفِره بفتح الفاء في الماضي وكسرها في المستقبل.

الثامنة: سِيَةُ القوس: ما عُطِفَ من طَرَفَيْهَا، وهما سِيَتَانِ. وفي «الصحاح» (٦: ٢٣٨٧): والجمع: سِيَاتٌ. والنسبة إليها سِيَوِيّ؛ قال أبو عبيدة: كان رؤبة يهمز سية القوس وسائر العرب لا يهمزونها.

المسألة الرابعة: في ذكر الدروع:

١ ــ عددها وأسماؤها:

ذكر ابن جماعة في «مختصر السير» له أنه كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبع أدرع: ذات الفُضُول، سُمِّيَتْ بذلك لطولها وهي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي على شعير لعياله صلى الله عليه وسلم وشرَّف وكرَّم.

وفي كتاب «أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم» (١٤٢) للأصبهاني عن جعفر بن محمد عن أبيه رحمهما الله تعالى قال: في درع النبي صلى الله عليه وسلم حلقتان من فضة عند موضع الثُّنْدُوة وفي ظهرها حلقتان من فضة أيضاً، وقال: لبستها فخطَّتِ الأرضَ.

وفي «الدلائل» عن جابر عن عامر قال: أَخرج إلينا علي بن حسين رضي الله تعالى عنهما درعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يمانيةً رقيقةً ذاتَ زرافِينَ إذا عُلِّقَتْ بزَرَافِينها انشمرت وإذا أُرْسِلَتْ مَسَّتِ الْأَرضَ.

قال قاسم: واحد الزرافين: زِرفين وزُرفين، وهو: الإبزيم.

قال ابن جماعة: وذاتُ الوشاح، وذاتُ الحواشي، والسغدية وقيل: إنها كانت درع داود عليه السلام التي لبسها حين قَتَلَ جالوت، وقِضَّة، والبتراء وسميت بذلك لقصرها، والخِرْنق.

٢ ـ مظاهرته صلى الله عليه وسلم بين درعين:

روى الترمذي (٥:٣٠٧) رحمه الله تعالى عن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه، قال: كان على النبي صلى الله عليه وسلم درعان في يوم أُحد، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع فأَقعد طلحةَ تحته، وصعد النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى استوى على الصخرة فقال: سَمِعْتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أَوجب طلحة.

قال أَبو عيسى: وهذا حديث حسن غريب.

وقال ابن جماعة في «مختصر السير»: كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ أُحدٍ درعان: ذات الفُضُول وقِضَّة، ويوم خيبر: ذات الفُضُول والسُّغْدِيَّة.

فوائد لغوية في ثماني مسائل:

الأُولى: في «الصحاح» (٣:١٢٠٦) دِرْعُ الحديد مؤنثة، والجمعُ القليل: أَدْرُع وأدراع، فإذا كثرت فهي الدُّرُوع، وتصغيرها دُرَيْع بغير هاءٍ على غير قياس.

وحكى أَبو عبيدة: أَن الدرعَ تذكر وتؤنث، قال الراجز[1]:

* مُقَلِّصاً بِالدِّرْعِ ذي التَّغَضُّنِ *

(١) هو أبو الأخزر كما في اللسان (درع) وبعد هذا الشطر: يمشي العرضنى في الحديد المتقن.

الثانية: في «الصحاح» (١: ٣٨) الثُّنْدُوَة للرجل بمنزلة الثدي للمرأة، وقال الأصمعي: هي مَغْرِز الثَّدي. قال ابن السِّكيت: هي اللحم الذي حول الثَّدْي إذا ضَمَمْتَ أولها هَمَزْتَ فتكون فُعْللة، وإذ فتحته لم تهمز فيكون فَعْلُوة مثل تَرْقُوة.

الثالثة والرابعة: ذاتُ الوِشَاحِ وذات الحواشي لم أَقف على شيء في تسميتها بذلك. وفي «المحكم» (٣: ٣٦١) الموشحة من الظباء والشاء والطير: التي لها طرتان من جانبيها، فيحتمل أَن يكون في ذات الوشاح لونٌ مخالفٌ لسائرها فسميت به، وكذلك في حواشي ذات الحواشي وأَصل الوشاح خيط فيه لونان تتوشح به المرأَة، وحاشيةُ الثوب: جانبه، ويَعْضُد هذا الاحتمالَ قولُ ابنِ جماعة في المغفر الموشح: إنه سُمّي بذلك لأنه وُشّح بِشَبه.

الخامسة: في «المحكم» (٥: ٢٥٠) الصُّغْد والسُّغْد ــ بالصاد والسين مهملتين ــ جبلٌ[1] معروف.

وأنشد صاحب الحماسة (٢: ١٢٨)[2]: [من الطويل]

قَـرومٌ تَسَامَى مِنْ نِـزَارٍ عليهمُ مضاعفةٌ مِنْ نَسْجِ داودَ والصُّغْدِ

السادسة: القَضَّاء من الدروع: المحكمة، ويقال الصُّلبة، قال النابغة[3]: [من الطويل]

وَكُـلُّ صَمُـوتٍ نَثْـلَةٍ تُبّـعيَّـةٍ ونَسْجُ سُلَيْمٍ كُلَّ قَضَّاء ذَائِلِ[4]

ودرع قَضَّاء أَي خشنة المسّ لم تنسحق بعد. انتهى.

هذا هو المعروف فيها بالمد، وأَما درع قضة فيحتمل أَن تسمى أَيضاً بذلك لخشونتها.

---

(١) جبل: كذلك ورد في م ط والمحكم؛ والأرجح أن القراءة الصحيحة هي «جيل».

(٢) الحماسية رقم: ٢٤٩ في شرح المرزوقي.

(٣) ديوان النابغة: ١٤٦.

(٤) الصموت: الدرع اللينة المتن، النثلة: السابغة، نسج سليم: أراد ونسج سليمان (وهو يعني داود)؛ والقضاء أيضاً الحديثة العمل، والذائل: الدرع الواسعة ذات الذيل.

وفي «الصحاح» (٣:١١٠٢)[١] أَقضَّ الرجل مضجعه: أي وجده خشناً، والقِضة[٢]: الحصى الصغار، والقِضة: أَرضٌ ذاتُ حصًى.

السابعة: في «المحكم»: الخِرْنِقُ: مَصْنَعَةُ الماء. وفي «الصحاح» (٣:١٢٤٦) المَصْنَعَةُ كالحوض يجتمع فيه ماءُ المطر، وكذلك المصنعةُ بضم النون. انتهى. فيكون على هذا تسمية الدرع خِرْنِقاً من باب تشبيههم الدرع بالغدير.

الثامنة: قال الاعلم في شرحه الأشعار الستة: يقال ظاهر بين درعين: إذا لبس واحدة على أُخرى.

المسألة الخامسة: في ذكر القباء والجِبَاب:

روى البخاري (٧:٢٠٠) رحمه الله تعالى عن المِسْور بن مخرمة أَن أَبَاه مخرمة، رضي الله تعالى عنهما قال له: يا بني بلغني أَن النبي صلى الله عليه وسلم قد قدمتْ عليه أَقْبِيَةٌ وهو يقسمها فاذهب بنا إليه، فذهبنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم في منزله فقال له: يا بني ادعُ لي النبي صلى الله عليه وسلم، فأَعظمت ذلك وقلت: ادعو لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقال: يا بني إنه ليس بجبار، فدعوته فخرج وعليه قَبَاء من ديباج مزرّر بالذهب، فقال: يا مخرمة، هذا خبأْناه لك، فأَعطاه إياه.

وقال ابن جماعة في «مختصر السير»: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جباب يلبسها في الحرب فيها جبة سندس أخضر، ولبس صلى الله عليه وسلم في وقت جبةً ضيقةَ الكمين.

وروى مسلم (١:٩٠) رحمه الله تعالى عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فقال: يا مغيرة خذ الإداوة، فأَخذتها ثم خرجتُ معه، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توارى عني

---

(١) هذا هو شرح «استقض» في الصحاح؛ أما أقضَّ الرجل مضجعه وأقض عليه المضجع فمعناه تترب وخشن.

(٢) الصحاح: والقضض.

فقضى حاجته، ثم جاء وعليه جُبَّة شامية ضيّقة الكمين، فذهب يُخرجُ يده من كمّها فضاقت، فأَخرج يده من أَسفلها؛ فصببتُ عليه فتوضأَ وضوءه للصلاة ثم مسح على خفيه ثم صلَّى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «المشارق» (١:١٣٨) الجبة: ما قطع من الثياب فخيط. وفي «المشرع الروي» (٢:٢٢٢): أَصل الجَبِّ: القطع، ومنه الجبة لأنها تُقطع ثم تخاط.

الثانية: في «المشارق» (٢:٢٢٢) جُبة السُّنْدُس: هو رقيق الديباج.

تنبيــه:

قد تقدم ذكرُ القباء في فصل دفع العروض في العطاء في باب كاتب الجيش واشتقاقه فأَغنى عن إعادته.

المسأَلة السادسة: في المِنْطَقَة:

في «مختصر السير» لابن جماعة: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم منطقة من أَديم مبشور فيها ثلاثُ حَلَق من فضة، والإِبزيم فضة، والطرف من فضة.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «الصحاح» (٤:١٥٥٩): انتَطَقَ الرجلُ أَي لبس المِنْطَقَ، وهو كلُّ ما شددتَ به وسطك، والمِنْطَقَةُ معروفةٌ اسم لها خاصة، ونطَّقْتُ الرَّجل تَنْطِيقاً فتَنَطَّقَ، أَي شدَّها في وسطه.

الثانية: في «جامع اللغات»: الإِبزيم ما يكون في طرف المِنْطَقَة وله لسان يدخل فيه الطرف الآخر ويقال له إِبْزامَ أَيضاً. وقال الزبيدي في «لحن العامة» (١٥ ـ ١٦): يقال إِبزيم وإِبزين بالنون. قال: وقول العامة بزيم لحن.

المسأَلة السابعة: في ذكر البيضة والمغفر:

البيضــة:

روى مسلم (٢:٦٧) رحمه الله تعالى عن سهل بن سعد رضي الله

تعالى عنه، [وسئل][1] عن جُرْح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد فقال: جُرِحَ وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَكُسِرَتْ رباعيته وهُشِمَتْ البيضةُ على رأسه.

فائدة لغوية:

قال ابن السيد في «الاقتضاب» (٢: ٨٠)[2] الأسنان إذا كملت عدتها ولم يَنْقُص منها شيء: اثنتان وثلاثون سناً. أَربع ثنايا، وأَربع رباعيات، وأَربعة أَنياب، وأَربعة ضواحك، واثنتا عشرة رحى، وأَربعة نواجذ وهي أَقصاها وآخرها نباتاً. وقال قطرب في «خلق الإنسان»: ويقال لما جاوز الضواحك إلى أَقصى الفم: أَضراس، انتهى. وواحدة الرباعيات: رباعية بتخفيف الباء؛ قاله ابن قتيبة في «الأَدب» (١٦٢) وفي «الصحاح» (٢: ٩٣٨): الضرس يُذَكَّر ما دام له هذا الاسم. انتهى.

المغفـــر:

روى الترمذي (٣: ١١٩) رحمه الله تعالى عن أَنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وعلى رأْسه المِغْفَر، فقيل له: ابن خَطَل متعَلِّقٌ بأَستار الكعبة، فقال: اقتلوه.. قال أَبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب[3]. انتهى.

وفي «مختصر السير» لابن جماعة: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مِغْفَر من حديد يقال له: الموشح وشح بشبه، ومغفر آخر يقال له: السُّبُوغ أَو ذو السُّبُوغ وهو الذي كان على رأْسه المكرم حين دخل مكةَ يومَ الفتح.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «المشارق» (٢: ١٣٨) المِغْفَر بكسر الميم: ما يُجْعَلُ من الزرد على الرأْس مثل القلنسوة والخمار. وفي «الصحاح» (٢: ٧٧٠) الغَفْرُ: التغطية. وقال ابن القوطية (٢: ٤١٢): غَفَرت الشيء ــ مفتوح الفاء ــ غَفْراً: سترته.

---

(١) وسئل: سقطت من م ط.

(٢) هناك اختلاف بين ما ورد هنا وما هو في الاقتضاب.

(٣) غريب: لم ترد في الترمذي.

الثانية: في «الأفعال» لابن طريف: سَبَغَ الشعرُ والثوبُ والدرعُ، وكلّ شيء طالَ من فوق إلى أسفل سُبُوغاً من باب فَعَل بفتح الفاء والعين يفعُل بضمها.

المسألة الثامنة: في التِّرَاس:

في «مختصر السير» لابن جماعة: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم تُرْس يقال له: الزلوق، يزلق عنه السلاح، وتُرسٌ آخر يقال له: الفنق، وأهدي له ترس فيه تمثالُ عُقابٍ أو كبش، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عليها فأذهب الله ذلك التمثال.

وروى البخاري (٤:٤٦) رحمه الله تعالى عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان أبو طلحة يترس مع النبيّ صلى الله عليه وسلم بترسٍ واحد.

فائدتان لغويتان:

الأولى: في «الصحاح» (٢:٩٠٧) الترْس جمعه: تِرَسَةٌ وتِرَاسٌ وأَتْرَاس وتُرُوس؛ قال يعقوب: ولا يقال أَتْرِسة. ورجل تَارِسٌ وترس، ورجل تَرَّاسٌ: صاحب تُرْس، والتَّرَّسُ التَسَتُّر بالتُّرْس، وكذلك التَتْرِيسُ. وفي «الديوان» (١:١٥٥) هو التُّرْسُ بضم التاء وسكون الراء. انتهى.

وقال الراجز:

* ظهـراهمـا مثـل ظُهـورِ التُّـرْسين *

وقد حرك المتنبي راءه فقال[1]: [من البسيط]

أَيُّ المُلُوكِ وهم قَصْدِي أُحَاذِرُهُ وأَيُّ قِرْنٍ وهُمْ سَيْفِي وهم تُرُسِي

الثانية: في «المحكم» (٦:٢٧٦) جمل فُنُقٌ وفَنِيق: مُودَعٌ لِلْفِحْلَة، وناقة فُنُق: جسيمة حسنة الخَلق.

قلت: فيحتمل أَن يكون الفُنُق اسمُ الترسِ من هذا.

---

(١) ديوان المتنبي: ١٨.

الباب الرابع والعشرون

في حامل الحربة

وفيه فصلان

الفصل الأول

في حملها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر أَبو محمد ابن حيان الأصبهاني في كتابه «في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم» (١٤٦) عن ابن يزيد قال: بعثني نجدة الحروري إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنه أَسأَله: هل سِيرَ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحربة؟ قال: نعم، مرجعه من حنين. انتهى.

وتقدم في باب السلاح عند ذكر الرماح ما ذكره ابن إسحاق في أَخبار يوم أُحد، ثم في خبر طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُبيّ بن خلف وفيه: فلما دنا ــ يعني أُبيّاً ــ تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربةَ من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأْدأَ منها عن فرسه مراراً.

فائدة لغوية:

في «المحكم»: تدأْدأَ الرجلُ في مشيته: تمايل، وتدأْدأَ عن الشيء: مال، ذكره في المضاعف من الدال والهمزة.

الفصل الثاني

في ذكر نسب الحارث بن الصمة وأَخباره رضي الله تعالى عنه

في الاستيعاب» (٢٩٢) الحارثُ بن الصِمَّة بن عمرو بن عَتِيك بن عمرو بن عامر ــ وعامر هذا يقال له مَبْذُول ــ بن مالك بن النجار يكنى أَبا سعد، وكان في من

خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر فكسر بالرَّوْحاء، فردَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب له بسهمه وأَجره. وشهد معه أُحداً فثبت معه يومئذٍ حين انكشف الناس، وبايعه على الموت، وقتل عثمانَ بنَ عبدالله بن المغيرة المخزومي يومئذٍ وأَخذ سَلَبه، فسلَّبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يُسْلَبْ يومئذٍ غيره، ثم شهد بئر معونة فَقُتِلَ يومئذٍ شهيداً، وكان هو وعمرو بن أُمية في السرح، فرأَيا الطير تعكف على منازلهم فأَتوا فإذا أَصحابهم مقتولون، فقال لعمرو: ما ترى؟ قال: أَرى أَن أَلحقَ برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الحارث: ما كنتُ لِأتأَخر عن موطنٍ قُتِلَ فيه المنذر، فأَقبل حتى لحق القومَ فقاتل حتى قتل.

قال عبدالله بن أَبي بكر: ما قتلوه حتى أَشرعوا له الرماح فنظموه بها حتى مات، وأُسر عمرو بن أُمية. وفيه يقول الشاعر يوم بدر[1]: [من الرجز]

يا ربِّ إن الحارثَ بنَ الصِمَّهْ ... أَهلُ وفاءٍ صادقٍ وذمَّهْ
أَقبل في مهامهٍ ملمهْ ... في ليلةٍ ظلماءَ مدلهمهْ
يسوقُ بالنبيِّ هادي الأُمهْ ... يلتمسُ الجَنَّةَ فيها ثَمَّهْ

تنبيه:

إنما قلت إن الحربة التي تناولها رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد الحارث هي حربته عليه الصلاة والسلام لا حربة الحارث لأنه لم يكن ـ صلى الله عليه وسلم ـ لِيُشْرِكَ الحارثَ معه في جهاده، بدليل امتناعه صلى الله عليه وسلم من قَبول الراحلة التي أَعدها له أَبو بكر، رضي الله تعالى عنه، وقت الهجرة إلا بثمنها حسبما ثبت ذلك في خبر الهجرة ليخلصَ له صلى الله عليه وسلم أَجرُ هجرته ولا يَشْرَكُهُ فيها أَحدٌ.

---

(١) الرجز في أسد الغابة ١: ٣٣٤ ومنه ثلاثة أشطار في الإصابة ١: ٢٩٤.

الباب الخامس والعشرون

في حامل السيف

في «الاستيعاب» (٧٤٢): الضحاك بن سفيان بن عَوْف بن كعب بن أَبي بكر الكِلابي، يكنى أَبا سعيد، معدودٌ في أَهل المدينة، وكان أَحدَ الأَبطالِ، يقومُ على رأْسِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفه، وكان يُعَدّ بمائة فارس وحده. وذكر الزبير بن بكار أَن الضحاك بن سفيان الكلابي كان سيَّافَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً على رأْسه متوشحاً بسيفه، وكانت بنو سليم في تسعمائة فارس، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل لكم في رجل يعدلُ مائةً يوفيكم أَلفاً؟ فوفاهم بالضحاك بن سفيان وكان رئيسهم.

قال السهيلي (٧:٢١٨): كانت بنو سليم يومَ حنين تسعمائة فأَمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَخبرهم أَنه قد تممهم به أَلفاً. انتهى.

وأنشد ابن إسحاق في «السير» (٢:٤٦٤) لعباس بن مرداس السلمي في أَشعار يوم حنين ما يدلّ على ذلك، فمن ذلك قوله[1]: [من الطويل]

ويومَ حُنَيْن حين سارت هوازنٌ ... إلينا وضاقَتْ بالنُّفوسِ الأَضالعُ
صَبَرْنَا مع الضَّحاكِ لا يسْتفزُّنا ... قِراعُ الأَعادي منهمُ والوقائعُ
أَمامَ رسولِ الله يخفقُ فوقَنَا ... لواءٌ كخُذْرُوفِ السحابةِ لامع
عشيةَ ضحاكُ بنُ سُفيانَ مُعْتَصٍ ... بسيف رسول الله والموتُ كانعُ

(١) انظر أيضاً ديوان العباس: ٨١.

وقوله أَيضاً (٢: ٤٦٧)[1]: [من البسيط]

ونَحْنُ يومَ حُنينٍ كان مشهَدُنَا ... للدِّين عِزّاً وعند الله مُدَّخَرُ
إِذْ نركبُ الموتَ مُخْضَرّاً بطائِنُه ... والخيلُ ينجابُ عنها ساطعٌ كَدِرُ
تحتَ اللواءِ مع الضحاكِ يقدُمُنا ... كما مَشَى اللَّيْثُ في غاباته الخَدِرُ

وقوله أَيضاً (٢: ٤٦٢)[2]: [من الكامل]

لا وفدَ كالوفدِ الأُلَى عقدُوا لنا ... سبباً بحبْلِ محمدٍ لا يُقْطَعُ
وفدُ أَبو قَطَنٍ حُزَابَةُ منهمُ ... وأَبو الغيوث وواسعٌ والمِقنَعُ
والقائدُ المائة التي وفَّى بها ... تِسْعَ المئينَ فَتم أَلفٌ أَقْرَعُ
فهناك إِذ نُصِرَ النبيُّ بأَلْفِنَا ... عقدَ النبيُّ لنا لواءً يَلْمَعُ

قلت: وإِنما أَراد بقائد المائة التي وفَّى بها الأَلف الضحاكَ بن سفيان وجعله كأَنه قاد مائة لما تقدم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه: يعدل مائة توفيكم أَلفاً.

تنبيه:

حكى السهيلي في «الروض الأُنُف» (٧: ٢١٨) عن البرقي أَنه قال: ليس الضَّحاك بن سفيان هذا بالكلابي، إِنما هو الضَّحاك بن سُفيان السُّلَمي، وذكر من غير رواية ابن إِسحاق نسبه مرفوعاً إِلى بُهْثَة بن سُلَيم. قال السهيلي: ولم يذكر أَبو عمر في الصحابة إِلا الأَول وهو الكلابي والله أَعلم. انتهى.

وقد ذكر ابن فتحون الضحاك بن سفيان السلمي في «الذيل» فقال: الضحاك بن سفيان بن الحارث بن زائدة بن عبدالله بن حبيب بن مالك بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثة، له صُحْبةٌ من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان رأْس بني سُليم وصاحبَ رايتهم. انتهى.

---

(١) انظر أيضاً ديوان العباس: ٥٥.
(٢) ديوان العباس: ٧٧.

وكذلك نسبه ابن حزم في «جمهرته» (٢٦١) سواء وقال: وله صحبة، وهو غير الضحاك بن سفيان الكِلَابي. انتهى.

إفـادة:

ذكر العباس بن مرداس رضي الله تعالى عنه في شعره أَربعة من بني سليم في الوفد وهم: أَبو قطن حُزَابة، وأَبو الغيوث، وواسع، والمقْنع. فثبت بذلك صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ولم يذكرهم أَبو عمر ابن عبدالبر وذكرهم ابن فتحون في «الذيل».

فوائد لغوية في ثمان مسائل:

الأُولى: قول الزبير بـن بكـار: كان الضحاك بن سفيان سيَّافَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أَي حامل سيفه صلى الله عليه وسلم، الذي يحمله ويقفُ به بين يديه كما كان الحارث بن الصمة حاملَ حربته الذي يحملها ويسير بها بين يديه، كما ذكر في باب حامل الحربة.

وقوله متوشحاً سيفه يعني أَيضاً سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بين ذلك عباس بن مرداس بقوله: [من الطويل]

عشيةَ ضحاكُ بن سفيانَ معتصٍ بسيفِ رسولِ الله والموتُ كانعُ

الثـانيـة: في «المحكم»: رجـل مُسِيف وسياف: صـاحب سيف. وفي «المخصص» (١٦:٦): وسائف: معه سيف.

الثالثة: التَوَشُّحُ بالسيف: التَقَلُّدُ به، كمـا تتقلد المرأَةُ بـالوِشـاح. وقال الجوهري (٤١٥:١): الوِشَاحُ يُنْسَجُ من أَديم عريضاً ويُرَصَّعُ بالجواهر وتَشُدُّه المرأَةُ بين عاتقيها وكَشْحَيْها؛ ووَشَّحْتُها تَوْشيحاً فتوَشَّحَتْ هي: أَي لبسته، وربما قالوا: توشَّحَ الرجلُ بثوبه وبسيفه.

الرابعة: في «المحكم» الخُذْرُوف: السريعُ المشي، والخذروف أَيضاً: عُوَيْدٌ مشْقُوقٌ في وسَطِه يُشَدّ بِخَيْطٍ ويُمَدَّ فيسمَع له حنينٌ. وفي «مختصر العين» نحو منه

وبالذال المعجمة ذكراه معاً. وقال أبو الحسن طاهر بن عبدالعزيز بن عبدالله الرعيني[1]: كخذروفٍ يريد البرقَ الذي في السحاب. نقلته من طُرّةٍ كتبها على هذا البيت بخطّه في نسخته العتيقة التي كتبها بخطه أيضاً وقرأها على عبدالرحيم بن عبدالله بن عبدالرحيم الزهري البرقي[2] سنة ثلاث وثمانين ومائتين بفسطاط مصر وحدثه بها عن عبدالملك بن هشام.

الخامسة: في «الديوان» (٤:٩٣) عصِيتُ بالسيف أَعْصَى: أي ضربته به بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل. وفي «الصحاح» (٦:١٤٢٩): العصا مقصور مصدر قولك عَصِيَ بالسيف يَعْصَى إذا ضرب به. وفي «مختصر الزبيدي» و «أفعال السرقسطي» وعَصَا بالسيف أيضاً يَعْصُو لغتان. وفي «الديوان» (٤:١٢٤) في باب الافتعال: فلان يعتصي بالسيف. ثم قال: وهذا الباب يكون بمعنى التفاعل بمعنى الاشتراك في الفعل كالتطاعن والاطّعان والتخاصم والاختصام. ويكون بمعنى فعل: كجذب واجتذب، وقلع واقتلع. انتهى. واللفظة تحتملهما معاً. وفي «الصحاح» (٦:٢٤٢٩) فلان يَعْتَصِي بالسيف: أي يجعله عصا.

تنبيـــه:

هذه اللغاتُ كلها في الضرب بالسيف، وأما العصا فقال ابن طريف عَصَوْتُه وعَصَيْتُه عَصْواً وعَصْياً: ضربتُهُ بالعصَا بفتح العين فيهما معاً، يريد عين فعل.

السادسة: في «الصحاح» (٣:١٢٧٨) كَنَعَ الأَمرُ: دَنَا. ابن طريف: كنعَ الموتُ بفتح النون كُنُوعاً: دَنَا، وأنشد الجوهري:

---

(١) طاهر بن عبدالعزيز بن عبدالله الرعيني أبو الحسن القرطبي سمع من بقي بن مخلد كثيراً ومن محمد بن عبدالسلام الخشني، ورحل إلى المشرق فسمع بمكة من علي بن عبدالعزيز بن عبدالله كاتب أبي عبيد القاسم بن سلام، وكان علم اللغة والخبر أغلب عليه، وسمع الناس منه كتب أبي عبيد وتوفي سنة ٣٥٠ (ابن الفرضي ١:٢٤٣ وبغية الوعاة ٢:١٩).

(٢) عبدالرحيم بن عبدالله بن عبدالرحيم البرقي (نسبة إلى برقة وأخطأ محقق عبر الذهبي في التعليق عليها) مولى بني زهرة: روى السيرة عن ابن هشام وكان ثقة وهو أخو المحدثين أحمد (أنساب السمعاني «البرقي») ومحمد وكانت وفاته سنة ٢٨٦ (عبر الذهبي ٢:٧٧).

* إِنِّـي إذا الـمـوتُ كَـنَـعْ[1] *

وأنشد ابن طريف: [من الطويل]

* يلوذ حذارَ الموتِ والموتُ كانِعُ[2] *

السابعة: في «الصحاح» (٣:١٢٦٢): سُقْتُ إليك أَلفاً أَقْرَعَ من الخيل وغيرها أَي تامّاً.

الثامنة: حُزانة بن أَبي قطن بحَاء مضمومة مهملة وزَاي ونـون، ضبطه طاهر بن عبدالعزيز الرعيني في نسخته العتيقة التي بخطه.

وقال ابن سيّد في «الاشتقاق» لي في موضع كذا وكذا حُزانة: أَي ما يتعلّق به قلبي وأَهتمّ به، واشتقاقه من الحزن أي لي ما أحزنُ عليه. انتهى.

وأما سائر ما طالعته من نُسَخ «السير» فهو فيها أَبو حزابة بحاءٍ مهملة أَيضاً وزاي وباء بواحدة. وفي «المحكم» (٣:١٧١) حَزَبه الأَمرُ يحْزُبُه: نابَهُ واشْتَدَّ عليه وضَغَطَهُ، والاسم: الحُزابة. وأَبو حزابة فيما ذكر ابن الأَعرابي: الوليدُ بن نَهِيكٍ: أَحدُ بني ربيعة بن حنظلة. انتهى. والأَول الوجه لثبوتِ الروايةِ به.

---

(١) هو في اللسان (كنع).

(٢) نسبه في اللسان (كنع) للأحوص، ولم أعثر على صدره.

الباب السادس والعشرون

في الصيقل

في «الاستيعاب» (١٤٦٩) مرزوق الصَّيْقَل مولى الأنصار له صحبة، صَقَلَ سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعم أن قبيعته كانت فضة. في إسناد حديثه لين، روى عنه أبو الحكم الصيقل الحمصي. انتهى.

وذكر أبو حيان الأصبهاني في كتاب «أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم» (١٤٠) عن مرزوق الصيقل قال: صقلتُ سيف النبي صلى الله عليه وسلم ذا الفقار قال: وكانت قبيعته من فضة، وفي وسطه بكرة أو بكَرَات فضة وفي قيده حَلَقُ فضة. انتهى.

وقال البخاري رحمه الله تعالى في «كتاب التاريخ» (٧:٣٨٢) مرزوق الصيقل له صُحْبَة. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأولى: في «الصحاح» (٥:١٧٤٤) صَقَل السيف وسقله أيضاً صقلاً وصِقالاً: أي جلاه فهو صاقل والجمع صَقَلَة، وقال: [من الرجز][1]

* لم تَعْدُ أن أُفرش[2] عنها الصَّقَله *

---

(١) الراجز يزيد بن عمرو بن الصعق كما في اللسان صقل ومن رجزه:

* نحن رؤوس القوم يوم جبله *
* يوم أتتنا أسد وحنظله *
* نعلوهم بقضب منتخله *
* لم تعد ..... *

(٢) م ط: أفرج.

والصانع: صيقل، والجمع الصياقلة، والصقيل: السيف، والمِصْقَلَة ما يُصْقَلُ به السيف ونحوه.

الثانية: قوله: وفي قيده حَلَقُ فضة، لا أدري ما القيد في السيف، وأقربُ ما إليه أن يكونَ المراد به: حِمالةُ السيفِ لِأنها التي تمسكه في عاتق صاحبه إذا تقلَّده، فكأنها قيدٌ له.

الباب السابع والعشرون
في الدليل
وفيه فصلان

الفصل الأول
في أدلاّء النبـي صلى الله عليه وسلم

١ ـ دليله صلى الله عليه وسلم في الهجرة:

روى البخاري (٥:٧٦) رحمه الله تعالى عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: استأْجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأَبو بكر رجلاً من بني الدِّيل هادِياً خِرِّيتاً، وهو على دين كفار قريش، فدفعا إِليه راحلتيهما، وواعداه غَارَ ثَوْر بعد ثلاثِ ليالٍ براحلتيهما صُبْح ثَلَاثٍ. انتهى.

وقال ابن إِسحاق رحمه الله تعالى في «السير» (١:٤٨٥): استأْجرا عبدالله بن أَرقط، رجلاً من بني الدئل بن بكر، وكانت أُمه امرأَةً من بني سَهْم بن عمرو، وكان مشركاً، يدلهما على الطريق، ودفعا إِليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما. انتهى.

فائدة لغوية:

في الصحاح (٤:١٦٩٨): الدليلُ: الدال، وقد دلَّه على الطريق يدله دَلالة ودِلالة بالفتح والكسر، والفتح أَعلى، ودُلولةً؛ وأَنشد أَبو عبيد: [من الرجز]

* إِنِّي امْرُؤٌ بالطَّرْقِ ذو دَلالاتْ[1] *

---

(١) اللسان (دلل).

والخرِّيت الدليل الحاذق، وقال: [من الرجز]

* وبلدٍ يَعْيَا به الخِرِّيتُ[1] *

والجمع: الخرارِت.

الكسائي: خرتنا الأرض: إذا عرفناها، ولم تخف علينا طرقها.

وفي «المحكم» (٥: ٩٢) الخِرِّيتُ: الدليلُ الحاذقُ بالدِّلالة الذي يهتدي لمثل خُرْت الإبرة[2].

وفي «ديوان الأدب» خِرِّيتِ بكسر الخاءِ وتشديد الراءِ وكسرها أيضاً.

٢ ـ دليله صلى الله عليه وسلم يوم أحد:

قال ابن إسحاق (٢: ٦٤ ـ ٦٥) في خبر أحد: ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك حَرَّةَ بني حارثة ثم قال لأصحابه: مَنْ رجلٌ يخرج بنا على القوم من كَثَبٍ؟ أي من قرب من طريقٍ لا يمرُّ بنا عليهم، فقال أبو خَيْثَمَة من بني حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله، فنفذ به في حرَّة بني حارثة، وبين أموالهم (...) ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعبَ من أُحد في عُدوَة الوادي إلى الجبل ـ نقلته مختصراً.

فائدة لغوية:

عُدوة الوادي بضمّ العين وكسرها والدال ساكنة في اللغتين: جانبه، قاله الفارابي.

٣ ـ دليله صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية:

في «السير» (٢: ٣٠٩) و«الاكتفاء» (٢: ٢٣٣) والنصّ من «الاكتفاء»: خرج رسول الله في ذي القعدة من سنة ستٍّ معتمراً لا يريد حرباً حتى إذا كان بعُسْفان لقيه بُسرُ بنُ

---

(١) هو رؤبة بن العجاج كما في ديوانه: ٢٥ واللسان (خرت).

(٢) في المحكم: الحاذق بالدلالة الذي يهتدي كأنه ينظر في خرت الإبرة من دقة نظره وقيل الذي يهتدي لمثل خرت الإبرة.

سفيان الكعبي فقال: يا رسولَ الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا يعاهدون الله أَن لا تدخلها عليهم أَبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ رجلٌ يخرُج بنا على غيرِ طريقهم؟ فقال رجل من أَسلم: أَنا. فسلك بهم طريقاً وعراً أَجرلَ بين شِعابٍ. فلما خرجوا منه وقد شقَّ عليهم وأَفضوا إلى أَرضٍ سهلة عند مُنْقَطَع الوادي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا نستغفر الله ونتوبُ إليه، فقالوا ذلك. فقال: والله إنها للحِطة التي عرضت على بني إسرائيل فَلم يقولوها. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: كُراع الغَميم بضم الكاف وفتح العين المعجمة وكسر الميم. قال القاضي في «المشارق» (١: ٣٥٠) وضمَّ بعضُ الشعراءِ الغين وصَغَّره: وهو واد أَمام عُسْفَان بثمانية أَميال أُضيف إليه هذا الكُراع. والكراع: جبلٌ أَسود بطرفِ الحرَّةِ يمتد إليه.

الثانية: في «الروض الأنف» (٦: ١٧٦) طريق أَجرل: أَي كثير الحجارة، والجرول: الحجر.

الفصل الثاني
في ذكر أَنسابهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ـ دليله صلى الله عليه وسلم في الهجرة:

عبدالله بن أرقط: تقدم في الفصل قبل هذا قول البخاري وابن إسحاق رحمهما الله تعالى أَنه كان مشركاً.

٢ ـ دليله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد:

أَبو حثمة يأْتي التعريف به في باب الخَرْصِ إن شاء الله تعالى.

٣ ـ دليله صلى الله عليه وسلم في عمرة الحديبية:

قال السهيلي رحمه الله تعالى في «الروض الأُنف» (٦: ٤٧٨) يقال إن ذلك الرجل هو ناجية الأَسلمي وهو سائق بُدْن النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي «الاستيعاب» (١٥٢٢): ناجية بن جُندُب الأَسلمي صاحبُ بُدْنِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وهو ناجية بن جُنْدُب بن عُمَيْر بن يَعْمر بن دارم بن عمرو بن واثلة بن سهل بن مازن بن سلامان بن أَسلم بن أَفْصى.

قال أَبو عمر ابن عبدالبر: ويقال ناجية بن عمر، وناجية بن عمير، معدودٌ في أَهل المدينة. قال ابن عفير: ناجية اسمه ذكوان فسمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية إِذ نجا من قريش، وهو الذي نزل في البئر يوم الحديبية، مات في خلافة معاوية بالمدينة. انتهى.

الباب الثامن والعشرون

في مسحل الطريق

في «الاستيعاب» (١٢٥٢) غالب بن عبدالله، ويقال ابن عبيدالله، والأكثرون يقولون فيه ابن عبدالله الليثي ويقال الكلبي. والصواب غالب بن عبدالله بن مسعر الليثي، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ستين راكباً إلى بني المُلَوَّح بالكَدِيد. وكانوا قد قتلوا أصحاب بشير بن سويد وأمره أن يُغيرَ عليهم فخرج. قال جُنْدَب بن مُكَيْث[1]: كنتُ في سريته فقتلنا واستقنا النَّعَم، وذلك عند أهل السير في سنة ثمان. وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الفتح يُسَهِّل له الطريقَ. انتهى.

فائدة لغوية:

الكَديد بفتح الكاف وبعدها دال مهملة مكسورة وياء ودال مهملة أيْضاً موضع بين مكة والمدينة، قاله البكري (١١١٩).

---

(١) في الاستيعاب: جندب بن مالك، وهو وهم، قارن بأسد الغابة ١: ٣٠٦.

الباب التاسع والعشرون

في صاحب المظلة

وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر من ظَلَّلَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثوب

ذكر ابن إسحاق (١: ٤٩٢) رحمه الله تعالى في خبر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم عن رجالٍ من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وتوكفنا قدومه كنا نخرجُ إذا صلينا الصبحَ إلى ظاهِرِ حَرَّتنا ننتظرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوالله ما نبرحُ حتى تغلبَنَا الشمسُ على الظِّلالِ؛ فإذا لم نجدْ ظلاً دخلنا، وذلك في أَيامٍ حارَّةٍ، حتى إذا كان اليومُ الذي قدم فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنا نجلسُ، حتى إذا لم يبق ظلٌّ دخلْنا بيوتنا؛ وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوتَ فكان أَولَ من رآه رجلٌ من اليهود، وقد رأى ما كنّا نصنع، وأَنا ننتظرُ قدومَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم علينا، فصرخ بأَعلى صوته يا بني قَيْلة: هذا جَدُّكم قد جاء، قال: فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظلِّ نخلة، ومعه أَبو بكر في مثل سِنِّه، وأَكثرنا لم يكن رأَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك، وركبه الناسُ وما يعرفونه من أَبي بكر؛ حتى إذا زال الظلّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أَبو بكر فأَظلَّه بردائه، فعرفناه عند ذلك. انتهى.

وروى مسلم (١: ٣٦٧) رحمه الله تعالى عن أُم الحصين رضي الله تعالى عنها

قالت: حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، فرأَيت أُسامة بن زيد وبلالاً وأَحدهما آخذ بخطام ناقة النبـي صلى الله عليه وسلم، والآخر رافعٌ ثوبه يستره من الحرّ حتى رمى جمرة العقبة. انتهى.

الفصل الثاني
في ذكر أَنسابهم وأَخبارهم رضـي الله تعالى عنهم

١ ــ **أَبو بكر رضي الله تعالى عنه**: قد تقدم في باب الخليفة من ذكره رضي الله تعالى عنه ما فيه الكفاية.

٢ ــ **أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما**:

في «الاستيعاب» (٧٥) أُسامة بن زيد بن حـارثة بن شَـراحيل بن كعب بن عبدالعُزَّى الكلبـي. وقال ابن إسحاق: شرحبيل فخالفه الناس فقالوا شراحيل. وأُم أُسامة: أُم أَيمن، واسمها بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته، وكان لحق زيداً سباءً، وصار بعدُ مولىً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وله ولاؤه. يكنى أُسامة: أَبا زيد، وقيل له: أَبا محمد، يقال له: الحِبُّ بنُ الحِبِّ.

وعن ابن عمر أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أَحبُّ الناسِ إِليَّ أُسامةُ ماحاشى فاطمةَ ولا غيرها. وعن هشام بن عروة عن أمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إِن أُسامة بن زيد لَأحبُّ الناسِ إِليَّ، وإِني أَرجو أَن يكونَ من صالحيكم فاستوصوا به خيراً. وفرض عمر بن الخطاب لأسامة بن زيد خمسة آلاف ولابن عمر أَلفين. فقال ابن عمر: فضلت عليَّ أُسامة وقد شهدتُ ما لم يشهد، فقال. إِن أُسامة كان أَحبَّ إِلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، وأَباه كان أَحبَّ إِلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أَبيك. وسكن أُسامة بعد النبـي صلى الله عليه وسلم وادي القرى ثم رجع إِلى المدينة فمات بالجرف في آخر خلافة معاوية سنة ثمان أَو تسع وخمسين، وقيل توفي سنة أَربع وخمسين؛ قال أَبو عمر رحمه الله تعالى (٧٧) وهو عندي أَصحُّ إِن شاء الله تعالى.

فوائد لغوية في خمس مسائل:

الأُولى: المِظلّة بكسر الميم على وزن [مفعلة] وأَنشد العماد الأَصبهاني في «الخريدة» لأبي إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبدالصمد الطغرائي[1] في وصف المظلة المعروفة بالحَنْوِ على رأْس السلطان: [من الكامل]

وعليه نَشْءُ مظلةٍ مكفوفةٍ ... بالدرِّ والياقوتِ وهو ثمينُ
سوداءُ حمراءُ الحفافِ كأَنها ... زهرُ الشقائقِ في الرياض يَبين
رُفِعَتْ تردُّ الشمسَ عن شمسٍ له ... نورٌ إذا اعتكر الظلامُ مبين
شمسان يكتنفانها من فوقها ... شمسٌ وآخر تحتها مَدْجون
فبنورِ تلك أَضاءتِ الدنيا وذا ... ضاءتْ به الدنيا وعزَّ الدين
فلكٌ يدور على ذؤابةِ تاجِهِ ... ويكونُ أَنَّى دار حيث يكون

ومن شعر أَبي القاسم بن هانىء الأَندلسي في المظلة[2]: [من الكامل]

وعلى أَمير المؤمنين غَمامةٌ ... نشَأَتْ تظلّلُ تاجَهُ تظليلا
نهضت بعبءِ الدرِّ ضُوعِفَ نسجُهُ ... وجرتْ عليه عسجداً محلولا

ومنه أَخذ الطغرائي تشبيهها بنشء السحاب وزاد عليه ما أَورده بعد ذلك من مستحسن الصفات.

الثانية: النَّشء ــ بفتح النون وسكون الشين وبعده الهمزة ــ أَول ما ينشأُ من السحاب؛ قاله الفارابي.

الثالثة: في «الصحاح» (٤: ١٤٤١): التوكّف: التوقع يقال ما زلت أَتوكَّفُهُ حتى لقيته.

الرابعة: في «الصحاح» (١: ٤٤٩) الجَدُّ: الحظ والبخت، والجمع: الجدود. وفي «الديوان»: هو بفتح الجيم.

الخامسة: بَرَكة أُم أَيمن بفتح الباء والراء، كذلك قيده الحافظ عبدالغني.

---

(١) ديوان الطغرائي: ٦.

(٢) ديوان ابن هانىء: ١١٩.

الباب الموفي ثلاثين
في ذكر صاحب الثَّقَل
وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر من كان يتولَّى ذلك
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى البخاري (٤: ٩١) رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنه قال: كان على ثَقَل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ يقال له كَرْكَرَة فمات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو في النار، فذهبوا ينظرون فوجدوا عليه عَبَاءةً[1] غَلَّها.

وروى مسلم (١: ٣٧١) عن قتيبة عن أَبي رافع وكان على ثَقَل النبي صلى الله عليه وسلم قال: لَمْ يأْمرني النبي صلى الله عليه وسلم أَن أَنْزِل الأَبطح حين خرج من منىً، ولكني جئتُ فضربتُ قبته فجاء فنزل.

قال أَبو محمد ابن حزم في كتابه «في حجة الوداع» (٣٠) وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة بن زيد: إِنه ينزلُ غداً بالمحصّب خيفِ بني كنانة، وهو المكان الذي ضَرَبَ فيه أَبو رافعٍ قُبَّتُهُ وفاقاً من الله دون أَن يأْمره صلى الله عليه وسلم بذلك. انتهى.

روى البخاري (٥: ١٨٧، ١٨٨)[2] رحمه الله تعالى عن أُسامة بن زيد رضي الله

---

(١) البخاري: عمامة.

(٢) قارن أيضاً بما ورد في البخاري ٢: ١٨١.

تعالى عنهما قال: قلت: يا رسولَ الله أَين ننزلُ غداً؟ في حجته فقال: وهل ترك لنا عقيلٌ منزلاً؟ ثم قال: نحن نازلون غداً بخيفِ بني كنانة ــ المحصب ــ حيث قاسمت قريشٌ على الكفر. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «المشارق» (١: ١٣٤) والثَقَل بفتح الثاء والقاف: هو متاع المسافر وحشمه، وأَصله من الثِّقْل.

الثانية: في «المشارق» (١: ٣٥٢) كِرْكِرة مولى النبي صلى الله عليه وسلم بكسر الكافين وفتحهما والراء الأُولى ساكنة. وفي «الصحاح» (٢: ٨٠٥) الكركرة في الضحك مثل القرقرة، والكركرة تصريفُ الريحِ السحابَ، وكركرتُه عني أَي دفعته.

الفصل الثاني
في ذكر أَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ــ **كركرة**: ذكره القاضي ابن جماعة في «مختصر السير» في موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كركرة كان على ثَقَله صلى الله عليه وسلم، وكان يمسك دابته عند القتال يوم خيبر. وفي «صحيح البخاري» في كتاب الجهاد: أَنه غلَّ عباءةً. وفي «الموطأ» وكتاب المغازي من «صحيح البخاري» أَن مَدْعَماً غلَّها في ذلك اليوم، وكلاهما قتل بخيبر. انتهى ما ذكره ابن جماعة.

وقال ابن فتحون في «الذيل»: كركرة رجل أَسود كان يمسك دابةَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عند القتال في خيبر فقتل يومئذ، فقيل يا رسولَ الله استشهد كركرة، فقال: إِنه الآن ليحرق في النار في شملة غلها، ذكره الواقدي.

٢ ــ **أبو رافع رضي الله عنه:**

في «الاستيعاب» (١٦٥٦، ٨٣) أَبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم، اختلف في اسمه فقيل إِبراهيم، وقيل أَسلم، وقيل هرمز، وقيل ثابت؛ وكان

قبطياً، وإسلامه قبل بدر، ولم يشهدها لِأنه كان مقيماً بمكة، وشهد أُحداً والخندق وما بعدهما من المشاهد. واختلف في من كان له قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل كان للعباس رضي الله تعالى عنه فوهبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أَسلم العباس بشَّر أَبو رافع بإسلامه النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأَعتقه. وقيل كان لسعيد بن العاصي أَبـي أُحيحة، ولا يثبت من جهة النقل. وما روي أَنه كان للعباس فوهبه للنبـي صلى الله عليه وسلم أَولى وأَصح، لأنهم قد أَجمعوا أَنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يختلفون في ذلك. وزوَّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَبا رافعٍ سَلْمَى مولاته؛ فولدتْ له عُبَيْدالله بـن أَبـي رافع، وكانت قابلةَ إبراهيم بن النبـي صلى الله عليه وسلم، وشهدت معه خيبر. وكان عبيدالله بن أبـي رافع خازناً وكاتباً لعلي بن أَبـي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين، واختلف في وقتِ وفاة أَبِـي رافع، فقيل قبل قتل عثمان رضي الله تعالى عنهما وقيل مات في خلافة علي رضي الله تعالى عنه، زاد في الكنى: وهو الصواب.

الباب الحادي والثلاثون
في الأمين على الحرم
وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على حرمه

في «الاستيعاب» (٨٤٤) قال الزبير بن بكار: كان عبدالرحمن بن عوف أَمينَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه. وروي عنه عليه السلام أنه قال: عبدالرحمن بن عوف أَمين في السماء وأَمين في الأَرض. انتهى.

وفي «العمدة» للتلمساني عند ذكره لعبدالرحمن بن عوف: وهو الأَمين في أَرض الله وسمائه، فكان لذلك أَمينَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر على نسائه. انتهى.

وفي «البهجة» لابن هشام: وفي سنة ثلاث وعشرين من الهجرة حجَّ عمر رضي الله تعالى عنه واستأْذنه أَزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج، فأَذن لهن، فخرجن في الهوادج عليهنّ الطيالسة، وكان أَمامهن عبدالرحمن بن عوف، ووراءهن عثمان بن عفان، فكان لا يدعانِ أَحداً يدنو منهنّ. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «الصحاح» (١: ٣٥٠) الهودج: مَرْكَبٌ من مراكب النِّساء مُقَبَّبٌ وغير مُقَبَّبٍ[1].

---

(١) الصحاح: مضبب وغير مضبب.

الثانية: في «المحكم» الطَّيْلَسان والطِّيلِسان، وأنكر الأصمعي كَسْرَ اللام، والجمع: طيالس وطيالسة، وقد تَطَّلْستُ بالطيلسان وتطيلستُ: وهو ضربٌ من الأكسية.

الفصل الثاني
في ذكر أنسابهم وأخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ـ **عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه**: تقدم ذكره في باب الرسول فأغنى عن إعادته الآن.

٢ ـ **عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه**:

في «الاستيعاب» (٨٤٤): عبدالرحمن بن عوف بن عبدعوف بن عبدالحارث بن زُهْرة بن كِلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الزهري، يكنى أبا محمد، كان اسمه في الجاهلية: عبدعمرو، وقيل: عبدالكعبة، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن. ولد بعد الفيل بعشرِ سنين، وأسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وكان من المهاجرين الأولين، جمع الهجرتين جميعاً: هاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم قبل الهجرة، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دُومَة الجندل، إلى كلب، وعممه بيده وَسَدَلها بين كتفيه، وقال له: سِرْ باسم الله، وأوصاه بوصاياه لِأمراء سراياه، ثم قال له: إن فتح الله عليك فتزوج بنت ملكهم أو قال: بنت شريفهم؛ وكان الأصبغ بن ثعلبة بن ضمضم الكلبي شريفهم، فتزوج بنته تماضر بنت الأصبغ، فهي أم ابنِه أبي سلمة الفقيه.

وعبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في سفره، وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: عبدالرحمن بن عوف أمينٌ في السماء وأمين في الأرض. قال الزبير بن بكار: كان عبدالرحمن بن عوف أمينَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه.

وجرح رضي الله تعالى عنه يوم أُحد إحدى وعشرين جراحةً، وجرح في رجله وكان يعرج منها. قال أبو عمر رحمه الله تعالى: كان تاجراً مجدوداً في التجارة، وكسب مالاً كثيراً، وخلَّف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس بالبقيع. وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً، فكان يدّخر من ذلك قوتَ أهله سنة. وصولحت امرأته التي طلقها في مرضه من ثلث الثُّمن بثلاثة وثمانين ألفاً. وروى ابنُ عيينة أنها صولحت بذلك عن رُبْعِ الثُّمْنِ من ميراثه. وروي عنه أنه أعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً. وعن أبي الهَيَّاج[1] قال: رأيت رجلاً يطوف بالبيت وهو يقول: اللهم قني شُحَّ نفسي، فسألت عنه فقالوا: هذا عبدالرحمن بن عوف.

وعن أُم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل عليها عبدالرحمن بن عوف فقال: يا أمه قد خشيتُ أن يهلكني كثرةُ مالي، أنا أكثر قريشٍ كلّهم مالاً، قالت: يا بني تصدَّق فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أصحابي من لا يراني بعد أن أُفارقه، فخرج عبدالرحمن فلقي عمر فأخبره بما قالت أُم سلمة: فجاء عمر فدخل عليها فقال: بالله منهم أنا؟ قالت: لا ولن أقولَ لِأحد بعدك.

توفي عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه سنة إحدى وثلاثين، وقيل سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن خمس وسبعين سنة بالمدينة. انتهى.

فوائد لغوية في أربع مسائل:

الأُولى: في «الديوان» (٣: ٣١٠): دُومة الجندل بفتح الدال وتضم أيضاً: اسم موضع.

الثانية: المجدود بالجيم: المحظوظ أي ذو الحظ، من الجَدِّ بفتحها. وفي «المشارق» (١: ١٤١) هو البخت والحظ في المال وسعة الدنيا. انتهى.

---

(١) هو حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي الكوفي روى عن علي وعمار، وعده ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ٣: ٦٧).

قلت: وضده: المحدودُ بالحاء المهملة. وفي «الصحاح» (١: ٤٥٩) المحدود الممنوع من البخت وغيره.

وفي «الأفعال» لابن طريف: جُدَّ الرجلُ بضم الجيم جَدًّا، ورجل مَجْدُودٌ منه، وحُدَّ حَدًّا بالحاء مفتوحة: مُنِعَ الرزقَ فهو مَحْدُود، ويقال للرامي: اللهم احْدُدْهُ، أي لا توفقه لإصابةٍ. وفي «الديوان»: حُدَّ بالضم. انتهى.

وللشافعي رحمه الله تعالى، أنشده ابن رشيق في «العمدة» (١: ٤٠) ما عدا البيت الأخير فهو عن غيره[1]: [من الكامل]

الجَدُّ يُدْنِي كلَّ شيءٍ شاسع ... والجَدُّ يفتحُ كلَّ بابٍ مُغْلَقِ
فإذا سمعتَ بأن مجدوداً حَوَى ... عُوداً فأورقَ في يديه فَصدِّق
وإذا سمِعْتَ بأن محدوداً أتى ... ماءً ليشربه فجفَّ فَحقِّقِ
وأَحَقُّ خلقِ اللهِ بالهَمِّ امْرُؤٌ ... ذو هِمَّةٍ يُبْلَى برِزْقٍ ضَيِّقِ
ولربما عرَضَتْ لنفسي فكرةٌ ... فأَوَدُّ مِنْها أنني لم أُخْلَقِ
ومن الدليلِ على القضاءِ وصدقه ... بُؤْسُ اللبيبِ وطيبُ عيشِ الأَخرق

الثالثة: في «الصحاح» الجُرْف والجُرُف مثل العُسْر والعُسر ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض. وفي «المعجم» (٣٧٧): قال الزبير: والجُرُف على ميل من المدينة. وقال ابن إسحاق: على فرسخ من المدينة.

الرابعة: في «الصحاح» (٥: ١٨٦٣) يقال: يا أمه لا تفعلي، ويا أَبتِ افعل، يجعلون علامةَ التأْنيث عوضاً من ياء الإضافة، وتقف عليها بالهاء.

---

(١) ديوان الشافعي: ١٣٢ وطبقات السبكي ١: ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

الباب الثاني والثلاثون
في الحارس
وفيه خمسة فصول

الفصل الأول
في ذكر من حرسه صلى الله عليه وسلم

١ ــ حرسه بالمدينة: سعد بن أَبي وقّاص رضي الله تعالى عنه؛ روى البخاري (٤:٤١) رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله تعالى عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم سهر، فلما قدم المدينة قال: ليت رجلاً من أَصحابي صالحاً يحرسني الليلة، إذ سمعنا صوت سلاح فقال: من هذا؟ قال: أَنا سعد بن أَبي وقاص جئت لِأحرسَكَ، ونام النبي صلى الله عليه وسلم. انتهى.

وروى مسلم (٢:٢٣٩) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْدَمَهُ المدينةَ ليلةً، فقال: ليت رجلاً صالحاً من أَصحابي يحرسني الليلة. فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشةَ السلاح فقال: من هذا؟ قال: سعد بن أَبي وقاص، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما جاء بك؟ قال وقع في نفسي خوفٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئتُ أَحرسه، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام.

٢ ــ وحرسه يوم بدر سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه: قال ابن إسحاق في «السير» (١:٦٢١، ٦٢٨) في أَخبار بدر: ثم بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش، وكان فيه معه أَبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه[1] ليس معه فيه غيره وساق الحديث، وفيه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخذ حفنة من الحصى

(١) قال ابن إسحاق... عنه: سقط من م.

فاستقبل بها قريشاً ثم قال: شاهتِ الوجوه، ثم نفَحهم بها وأَمر أَصحابه فقال: شُدُّوا، فكانت الهزيمة، فقتل الله بها من قَتَلَ من صناديدِ قريش، وأُسِرَ من أُسِرَ من أَشرافهم، فلما وضع القومُ أَيديهم يأْسرون ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش وسعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحاً السيف في نفر من الأَنصار رضي الله تعالى عنهم يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كرَّة العدو، وساق الحديث.

٣ ــ وحرسه حين أَعرس بصفية رضي الله تعالى عنها بخيبر أَو ببعض الطريق، أبو أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه: قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى في «السير» (٢: ٣٣٠، ٣٣٦، ٣٣٩ ــ ٣٤٠) في أَخبار غزوة خيبر: كان أَول حصونهم افتتح حصن ناعم، ثم القموص[1] حصن بني أَبي الحُقَيْق، فأَصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا: منهن صفية بنت حُيَيّ بن أَخطب وبنتا عم لها، فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيةَ لنفسه، وأَعرس بها بخيبر أَو ببعض الطريق، وكانت التي جَمَّلَتْها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطتها وأَصلحتْ من أَمرها أُم سليم بنت ملحان أُم أَنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم فبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة له، وبات أَبو أَيوب خالد بن زَيد رضي الله تعالى عنه أخو بني النجار متوشحاً سيفه يحرسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويطيف بالقبة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأَى مكانه قال: مالك يا أَبا أَيوب؟ قال: يا رسولَ الله خفتُ عليكَ من هذه المرأَة وكانت امرأَةً قد قتلتَ أَباها وزوجها وقومها وكانت حديثةَ عهد بكفر فخفتها عليك، فزعموا أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم احفظ أَبا أَيوب كما بات يحفظني. انتهى.

٤ ــ وحرسه بمكة وهو يصلي بالحجر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ذكر الدارقطني في «كتاب العلل» عن إدريس الأَودي عن أَبيه عن عمر بن

---

(١) م: الغموص.

الخطاب رضي الله تعالى عنه أَن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى في الحجر قام عمر بن الخطاب على رأْسه بالسيف حتى يصلّي. انتهى.

وقال أَبو محمد ابن عطية رحمه الله تعالى في كتابه «الوجيز في تفسير آي الكتاب العزيز» (٥: ١٥٥) قال عبد الله بن شقيق: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبه أَصحابه يحرسونه، فلما نزلت ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧) خرج فقال: يا أَيها الناس الحقوا بملاحقكم فإن الله قد عصمني. قال أَبو محمد: قال الربيع بن أَنس: نزلت سورة المائدة في مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجة الوداع. انتهى.

وذكر الزمخشري في «الكشاف» (١: ٦٣١) في قوله تعالى: ﴿والله يعصمكَ من الناسِ﴾ عن أَنس رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحْرَس حتى نزلت، فأَخرج رأْسه من قبّةِ أَدَمٍ فقال: انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس.

فائدة لغوية:

ابن القوطية (١: ٢١١): حرس الشيء حراسةً: حفظه. وفي «الديوان» (١: ٢١٤): يَحْرسُه بفتح الراء في الماضي وضمها في المستقبل.

الفصل الثاني
في ذكر أَنسابهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ــ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: تقدم ذكره في باب الوزير.

٢ ــ سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه: قال ابن حزم في «الجماهر» (١٢٩): سعد بن أبي وقاص ــ واسمه مالك ــ بن وُهَيْب بن عبد مناف بن زُهْرة بن كِلاب. وكذلك نسبه أَبو عمر في «الاستيعاب» (٦٠٦)، إلا أَنه قال: أُهيب. قال أَبو عمر يكنى أَبا إسحاق، كان سابعَ سبعة في إسلامه، أَسلم بعد ستة: وروي عنه رضي الله تعالى عنه أَنه قال: أَسلمت قبل أَن تفرض الصلوات وأَنا ابن تسع

عشرة سنة، وشهد بدراً والحديبيةَ وسائرَ المشاهدِ كلها: وهو أَحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وهو أَحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأَخبر أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو عنهم راض، وهو أَول من رمى بسهمٍ في سبيل الله وذلك في سرية عُبَيْدَة بن الحارث. انتهى.

قال ابن إِسحاق في «السير» (١: ٥٩٤) وقال سعد رضي الله تعالى عنه في رميته تلك فيما يذكرون [من الوافر]

أَلا هل أتى رسول الله أَني ... حميتُ صحابتي بصدورِ نبلي
أَذُودُ بها أوائلهم ذياداً ... بكلّ حزونةٍ وبكلِّ سهل
فما يَعْتَدُّ رامٍ في عدوّ ... بسهم يا رسولَ الله قبلي
وذلك أَن دينك دينُ صدقٍ ... وذو حقٍّ أَتيتَ به وعدل

قال أَبو عمر (٦٠٨): وعن قيس بن أَبي حازم قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص: اللهم أَجبْ دعوته وسدِّدْ رميته.

قال أَبو عمر (٦٠٧) فكان مجاب الدعوة، مشهوراً بذلك، تخاف دعوته وترجى لاشتهار إِجابتها عندهم.

وذكر ابن قتيبة في «المعارف» (٢٤١) قال: كان سعدٌ على الناسِ يومَ القادسية، وكان به جراح فلم يشهدِ الحربَ واستخلفَ خليفة، ففتح الله على المسلمين، فقال رجلٌ من بجيلة [من الطويل]

أَلم تَر أَن الله أَظهر دينَهُ ... وسعدٌ ببابِ القادسية مُعْصِمُ
فأُبنا وقد آمتْ نساءٌ كثيرةٌ ... ونسوةُ سعدٍ ليس فيهنَّ أَيّم

فقال سعد: اللهم اكفنا يده ولسانه، فأَصابته رميةٌ فَخَرِسَ ويبستْ يده.

وروى مسلم (٢: ٢٣٩) رحمه الله تعالى عن عبد الله بن شداد قال: سمعت علياً يقول: ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبويه لأحدٍ غيرِ سعد بن مالك، فإنه جعل يقول له يوم أُحد: ارم فداك أَبي وأُمي.

قال أَبو عمر (٦٠٨): وهو الذي كوَّفَ الكوفةَ ونفى الأعاجم وتولى قتالَ فارس وكان له فتح القادسية وغيرها.

وكان سعد ممن قعد ولزم بيته في الفتنة، وأَمر أَهله أَن لا يخبروه من أَخبار الناس بشيءٍ حتى تجتمعَ الأمة على إِمام.

ومات في قصره بالعقيق على عشرة أَميالٍ من المدينة، وَحُمِلَ إِلى المدينةِ على أَعناقِ الرجال ودفن بالبقيع، وصلَّى عليه مروان بـن الحكم. واختلف في وقت وفاته: فقيل سنة أَربع وخمسين، وقيل سنة خمس وخمسين، وقيل سنة ثمان وخمسين. واختلف في كم كان سنُّهُ حين مات، فقال الواقدي: توفي وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقال أَحمد بن حنبل: توفي وهو ابن ثلاث وثمانين سنة. انتهى. وقال ابن قتيبة في «المعارف» (٢٤٢) توفي سنة خمس وخمسين، وهو آخر العشرة موتاً. وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة لمعاوية، وبلغ من السن بضعاً وثمانين سنة، أَو بضعاً وسبعين سنة. انتهى.

٣ ــ **سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه**: قد تقدم ذكره في باب صاحب الراية.

٤ ــ **أبو أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (٤٢٤، ١٦٠٦): أَبو أَيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه اسمه خالد بن زيد بن كُلَيْب بن ثعلبة بن عبد عوف[1] بن غَنْم بن مالـك بن النجار. شهـد العقبة وبـدراً وأُحداً والخندق وسائرَ المشاهدِ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه من بني عوف حين قدم المدينة مهاجراً من مكة، فلم يزلْ عنده حتى بنى مسجده في تلك السنة، وبنى مساكنه، ثم انتقل صلى الله عليه وسلم إلى مسكنه.

وعن أَبي رُهم السمعي أَن أَبا أيوب الأنصاري حدثه قال: نزل رسول الله

---

(١) جمهرة ابن حزم: بن عبد بن عوف.

صلى الله عليه وسلم بيتنا الأسفل وكنت في الغُرفة، فأُهريق ماء في الغرفة، فقمت أَنا وأُم أَيوب بقطيفة نتتبع الماء، شفقةَ أَن يخْلُصَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزلنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأَنا مشفق، فقلت: يا رسول الله إِنه ليس ينبغي أَن نكون فوقك، انتقلْ إلى الغرفة، فأَمر النبي صلى الله عليه وسلم بمتاعه أن ينقل، ومتاعه قليل. وذكر تمام الحديث.

قال أَبو عمر (٤٢٥): وكان أَبوأَيوب مع علي بن أَبي طالب في حروبه كلِّها، ثم مات في القسطنطينية من بلاد الروم في زمن معاوية، وكانت غزاته تلك تحتَ راية يزيد، وكان أَميرَهُمْ يومئذ.

(١٦٠٧) ولما أَمَّر معاويةُ يزيدَ على الجيش إلى القسطنطينية جعل أَبو أَيوب يقول: وما عليَّ أَن أُمِّرَ عليَّ شاب، فمرض في غزوته تلك، فدخل عليه يزيد يعوده وقال له: أوصني، قال: إذا مت فكفنوني، ثم مُرِ الناسَ فليركبوا ثم يسيرون في أَرض العدو حتى إِذا لم يجدوا مساغاً فادفنوني ففعلوا ذلك.

وأَمر يزيد (١٦٠٦) بالخيل فجعلت تقبل وتدبر على قبره حتى عفا أثر قبره. وقيل إِن الرومَ قالت للمسلمين في صبيحة دفنهم لأبي أيوب: لقد كان لكم الليلة شأن، فقالوا: هذا رجلٌ من أَكابر أَصحاب نبينا، صلى الله عليه وسلم وأَقدمهم إسلاماً، وقد دفناه حيث رأَيتم، والله لئن نُبِشَ لا ضُرِبَ لكم بناقوس[1] في أَرض العرب ما كانت لنا مملكة.

قال ابن القاسم عن مالك: بلغني عن قبر أَبي أيوب رضي الله تعالى عنه: أَن الروم يستصحُّون به ويستشفون.

قال أبو عمر: مات أَبو أَيوب سنة خمسين أَو إِحدى وخمسين من التاريخ، وقيل بل كان ذلك سنة اثنتين وخمسين، وهو الأكثر، في غزوة يزيد القسطنطينية.

---

(١) بناقوس: سقطت من م؛ وفي الاستيعاب: ناقوس.

الفصل الثالث
في ذكر حُرَّاس عسكره عليه الصلاة والسلام

(١) غزوة ذات الرقاع:

قال ابن إسحاق في «السير» (٢: ٢٠٨ ـ ٢٠٩) رحمه الله تعالى: وحدث جابر بن عبدالله قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع فأَصاب رجل امرأَة[١] من المشركين، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً أَتى زوجها وكان غائباً، فلما أُخبر حلف ألا ينتهي حتى يُهَريق في أَصحاب محمد دماً، فخرج يتتبع أَثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً فقال: من رجل يكلؤنا ليلتنا؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فقالا: نحن يا رسول الله، قال: وكونا بفَم الشِّعبِ، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَصحابه رضوان الله تعالى عنهم قد نزلوا إلى شعبٍ من الوادي، وهما عمار بن ياسر وعبّاد بن بشر، فيما قال ابن هشام، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أَي الليل تحبُّ أَن أَكفيكَهُ أَوله أَم آخره؟ قال: بل اكفني أَوله، قال: فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلّي قال: وأَتى الرجل، فلما رأَى شخصَ الرجلِ عَرَفَ أَنه ربيئة القوم، قال: فرمى بسهمٍ فوضعه فيه قال: فانتزعه ووضعه وثبت قائماً، قال: ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه، قال فنزعه ووضعه وثبت قائماً، ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه قال: فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أَهبّ صاحبه فقال: اجلس فقد أُثبتُّ[٢] قال: فوثب فلما رآهما الرجل عرف أَنه قد نَذِرا به فهرب؛ قال: ولما رَأَى المهاجريّ ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله أَفلا أهببتني أَول ما رماك؟ قال: كنتُ في سورة أَقرأُها فلم أُحبَّ أَن أَقطعها حتى أُنفدها، قال: فلما تابع عليّ الرمي ركعتُ فآذنتك، وأَيم الله لولا أَن أُضيع ثغراً أَمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أَن أَقطعها أَو أُنفدها. انتهى.

---

(١) م: امرأة رجل.

(٢) م ط: أتيت؛ وقوله أثبتُّ من أُثْبِتَ الرجل إذا اشتدت به العلة أو أثبته جراحة فلم يتحرك.

(٢) غزوة بني قريظة:

قال ابن إسحاق (٢: ٢٣٨): وخرج في تلك الليلة ـ يعني الليلة التي نزل في صبيحتها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ عمرو بن سُعْدَى القُرَظي فمرَّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مَسْلمة تلك الليلة فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أَنا عمرو بن سُعْدَى. وكان عمرو قد أَبى أَن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لا أَغدر بمحمدٍ أَبداً. فقال محمد بن مَسْلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني [إقالَة][1] عثراتِ الكرام، فخلَّى سبيله. فخرج على وجهه حتى بات في مسجد[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في تلك الليلة، ثم ذهب فلم يُدْرَ أَين توجه من الأرض إلى يومه هذا. فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم[3] فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه.

(٣) غزوة الفتح:

روى البخاري (٥: ١٨٦) رحمه الله تعالى عن هشام بن عروة عن أَبيه: لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أَبو سفيان بن حرب وحكيمُ بن حِزامُ وبُدَيْلُ بنُ ورْقَاء يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأَقبلوا يسيرون حتى أَتوا مرَّ الظهران، فإذا هم بنيرانٍ كنيران عرفة، فقال أَبو سفيان: ما هذه؟ لكأَنّها نيرانُ عرفة. فقال بُدَيْلُ بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أَبو سفيان: عمرو أَقل من ذلك. فرآهم ناسٌ من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَدركوهم فأَخذوهم فأَتوا بهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم. انتهى.

فوائد لغوية في أربع مسائل:

الأولى: في «المعجم» (٦٦٤)اختلف في ذات الرقاع إحدى غزوات رسول الله

---

(١) زيادة من السيرة.

(٢) السيرة: حتى أتى باب مسجد.

(٣) زاد في السيرة: شأنه.

صلى الله عليه وسلم، فقال بعض أَهل العلم: التقى القوم في أَسفل أَكمة ذاتِ أَلوان فهي ذات الرقاع.

قال محمد بن جرير: ذات الرقاع من نخلٍ، قال: والجبل الذي سميت به هذه البقعة بذات الرقاع هو جبلٌ فيه بياض وسواد.

قال ابن إِسحاق (٢:٤:٢) ويقال: ذات الرقاع شجرةٌ بذاك الموضع، قال: ويقال: بل تقطَّعَتْ راياتهم فُرقِّعت، فبذلك سميت ذات الرقاع. وقال غيره: بل كانت راياتهم ملوّنة الرقاع.

والصحيح ما رواه البخاري (٥:١٤٥) عن أَبي موسى قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعيرٌ نَعْتَقبه، فنَقِبَتْ أَقدامُنا ونقبت قدماي وسقطت أَظفاري فكنا نلفّ على أَرجلنا الرقَاع، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنّا نعصبُ من الخِرَقِ على أَرجلنا.

الثانية: في «المعجم» (١٣٠٣) نخل، على جمع نخلة لا يُجْرى، قرية، قال ابن حبيب: على ليلتين من المدينة.

الثالثة: في «الصحاح» (١:١٨٥) عاقبت الرجل في الراحلة: إذا ركبتَ أَنت مرةً وركب هو مرة.

الرابعة: قوله نقبت أَقدامنا: أَي رقَّت، وأصله للبعير. قال الفارابي (٢:٢٢٥)نَقِبَ البعير ـ بفتح النون وكسر القاف ـ ينقَب بفتحها إذا رقَّتْ أَخفافُهُ.

الفصل الرابع
في ذكر أَنسابهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ـ **عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه**: تقدم ذكره في باب المفتي فأَغنى عن إِعادته الآن.

٢ ـ **عباد بن بشر الأنصاري رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (٨٠١):

عَبَّاد بن بِشْر بن وقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء بن عبدالأشهل الأنصاري الأشهلي، يكنى أَبا بشر، وقيل أَبا الربيع، لا يختلفون أَنه أَسلم بالمدينة على يد مصعب بـن عمير رضي الله تعالى عنه وذلك قبل إسلام سعد بن معاذ وأُسَيْد بن حضير رضي الله تعالى عنهما، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وكان من فضلاء الصحابة. وروى أَنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم أَن عصاه كانت تضيءُ له إذا كان يخرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم ليلاً إلى بيته، وعرض له ذلك مرةً مع أُسَيْد بن الحُضَيْر فلما افترقا أَضاءت لكلِّ واحدٍ منهما عصاه.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان في بني عبدِ الأشهل ثلاثة، لم يكن بعد النبي عليه السلام من المسلمين أَحدٌ أَفضل منهم: سعد بن معاذ وأَسيد بن حضير وعباد بـن بشر.

وعن عائشة أَيضاً قالت: تهجَّدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فسمع صوت عباد بن بشر فقال: يا عائشة صوت عباد بن بشر هذا؟ قلت: نعم، قال: اللهم اغفر له.

واستشهد عَبّاد بن بشر يوم اليمامة، وكان له يومئذ بلاء وغناء، وهو ابن خمسٍ وأَربعين سنة.

٣ ــ **محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه**: ثبت في باب المقيمين للحدود من الجزء الرابع من هذا الكتاب التعريف به فأَغنى ذلك عن إعادته هنا.

الفصل الخامس
في ذكر حراسة الظهر

قـال ابن إسحاق في «السيـر» (٢:٥٣٧ ــ ٥٣٩) رحمه الله تعـالى: قـدم رسـول الله صلى الله عليه وسلم المـدينـةَ من تبـوك في رمضـان، يعني من سنة تسع، قال: وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف وهـم عبد ياليل بن عمرو،

والحكم بن عمرو بن وهب، وشرحبيل بن غَيْلان بن سَلَمة، وعثمان بن أَبي العاصي بن بشر، وأَوس بن عوف، ونُمَيْر بن خَرَشَة. فخرج بهم عبد ياليل وهو نابُ القوم وصاحب أَمرهم، فلما دنوا من المدينة ونزلوا قَنَاة أَلفوا بها المغيرةَ بنَ شُعْبة يرعى في نَوْبَتِه ركابَ أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت رعيتها نُوَباً على أَصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآهم ترك الركابَ عند الثَّقَفِيِّين وطفر يشتدُّ ليبشّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه، فلقيه أَبو بكر الصديق قبل أَن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَخبره عن ركب ثقيف أَن قدموا يريدون البيعة والإِسلام، وساق الحديث.

تنبيه:

قد تقدم ذكر نسب المغيرة بن شعبة وأَخباره في باب الشهادة وكتب الشروط فأغنى ذلك عن إعادته.

فائدتان لغويتان:

الأولى: في «الصحاح» (٢: ٧٣٠): الظهر: الركاب، وبنو فلان مُظْهِرونَ: إذا كان لهم ظَهْرٌ ينقلون عليه، كما يقال: مُنْجبون إذا كانوا أَصحابَ نجائب. وفي «المشارق» (١: ٣٣٠) الظهر بفتح الظاء: هي دواب السفر التي تحمل عليها الأثقالُ من الإبل وغيرها، والجمع ظُهران بالضم.

الثانية: خَرَشَةُ بفتح الثلاث من أَسماء الرجال؛ قاله الفارابي. وفي «الصحاح» (٣: ١٠٠٤): الخَرشَة بالتحريك: ذبابة.

الباب الثالث والثلاثون

في التجسس

وفيه فصلان

الفصل الأول

في ذكر من بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم متجسساً

روى مسلم (٢: ١٠١) رحمه الله تعالى عن ثابت عن أَنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيسة عيناً ينظر ما صنعت عير أَبي سفيان، فجاء وما في البيت أَحد غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ قال: لا أَدري استثنى[١] بعض نسائه، قال: فحدثه الحديث قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فقال: إن لنا طَلبة، فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا. فجعل رجالٌ يستأْذنونه في ظُهْرَانِهم في عُلْوِ المدينة، فقال: لا، إلا من كان ظهره حاضراً. انتهى.

وقال ابن إسحاق رحمه الله تعالى في «السِّير» (١: ٦١٤) في غزوة بدر: وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بسيس[٢] بن عمرو الجهني حليفَ بني ساعدة وعديَّ بن أَبي الزَّغْبَاءِ[٣] الجهني حليفَ بني النجار إلى بدر يتجسسان له الأخبارَ عن أَبي سفيان بن حرب وغيره.

وقال أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٦١٤) في باب سعيد: قال

---

(١) مسلم: ما استثنى.

(٢) السيرة: بسبس.

(٣) م: الرعناء.

الواقدي: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث قبل أَن يخرج من المدينة إلى بدر طلحةَ بن عبيدالله وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتحسسان الأخبار، ثم رجعا إلى المدينة فقدماها يومَ وقعةِ بدر، فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهميهما وبأَجريهما.

وبقول الواقدي قال الزبير في ذلك سواء.

وذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى في «السير» (٢: ٢٣١) أَيضاً في غزوة الخندق: أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حذيفة بن اليمان ليلاً لينظر ما فعل القومُ ــ يعني قريشاً وغطفان ــ وسيأْتي ذلك مكملاً في باب المخذل عند ذكر نُعيم بن مسعود الأشجعي، رحمه الله تعالى.

وذكر أَبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في «الاستيعاب» (١٦٦) بسر بن سفيان الخزاعي، وقال: بعثه النبي صلى الله عليه وسلم عيناً إلى قريش إلى مكة، وشهد الحديبية. انتهى.

وقال ابن إسحاق رحمه الله تعالى في «السير» (٢: ٤٣٧، ٤٣٩ ــ ٤٤٠) في أَخبار غزوة حنين: ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف النَّصْري فاجتمع إليه مع هوازن ثقيفٌ كلها، واجتمعت نصرٌ وجُشَم كلّها، وسعد بن بكر وناسٌ من بني هلال، وهم قليل، ولم يشهدها من قيس غيلان إلا هؤلاء...

ولما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبدالله بن أَبي حدْرَد الأسلمي وأمره أَن يدخل في الناس فيقيمَ فيهم حتى يعلَم عِلْمَهم ثم يأْتيه بخبرهم. فانطلق ابن أَبي حدرد حتى دخل فيهم، فأَقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أَجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع من مالك وأَمر هوازن ما هم عليه، ثم أَقبل حتى أَتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَخبره الخبر. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأولى: التجسس بالجيم، والتحسس بالحاء، قال القاضي في «المشارق» (١: ١٦٠): قيل: هما بمعنى متقارب وهو البحث عن بواطن الأمور.

وقيل: الأولى التي بالجيم: إذا تجسس بالخبر والقول والسؤال عن عوراتِ الناس وأسرارهم أو مَا يَعْتَقِدُونه أو يقولونه فيه أو في غيره. والثانية التي بالحاء إذا تولَّى ذلك بنفسه وتَسمَّعه بأُذنه. وقال ثعلب: بالجيم: إذا طلبه لغيره، وبالحاء إذا طلبه لنفسه. وقيل: التجسس بالجيم في الشر والتحَسُّس بالحاء في الخير.

الثانية: في «المحكم» (٢: ١٨٠) العين: الذي يبعث ليتحسس الخبر. وبعثنا عيناً يَعْتَانُنَا، ويَعْتَانَ لنا أي يأْتينا بالخبر.

الفصل الثاني
في ذكر أنسابهم وأخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ــ طلحة بن عبيدالله رضي الله تعالى عنه: في «الاستيعاب» (٧٦٤): طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي، يكنى أبا محمد، يعرف بطلحة الخَيْر، وطَلْحة الفياض. قال موسى بن عقبة وابن إسحاق عن ابن شهاب: لم يشهد طلحةُ بدراً وقدم من الشام بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من بدر، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في سهمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لك سهمك، قال: وأَجري يا رسول الله؟ قال: وأَجرك. وقال الواقدي: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من المدينة إلى بدر طلحةَ بن عبيدالله وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتحسسان الأخبار، ثم رجعا إلى المدينة فقدماها يومَ وقعةِ بدر، فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهميهما وأجريهما.

قال أبو عمر (٧٦٥): شهد أُحداً وما بعدها. قال الزبير وغيره: وأبلى طلحة

يومَ أُحدٍ بلاءً حسناً، ووقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه واتقى عنه النبل بيده حتى شَلَّتَ إصبعه وضُرِبَ الضربةَ في رأْسه.

وروى البخاري (٥:١٢٥) رحمه الله عن قيس بن أَبـي حازم قال: رأَيت يدَ طلحة التي وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شلَّت.

قال أَبو عمر (٧٦٥) ويروى أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهض يوم أُحد ليصعدَ صخرةً وكان ظاهر بين درعين فلم يستطع النهوض، فاحتمله طلحة بن عبيدالله فأَنهضه حتى استوى عليها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَوجَبَ طلحة. ثم شهد طلحة المشاهد كلها، وشهد الحديبية، وهو أَحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضوان الله تعالى عنهم.

وروي أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إِليه فقال: من أَحبَّ أَن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأَرض فلينظر إِلى طلحة. ثم شهد طلحة بن عبيدالله الجمل محارباً لعلـيٍّ رضي الله تعالى عنهما فزعم بعض أَهل العلم أَن علياً دعاه فذكَّره أَشياءَ من سوابقه وفضله، فرجع طلحة عن قتاله على نحوِ ما صنع الزبير، فاعتزل في بعض الصفوف فَرُمِي بسهمٍ فقطَعَ من رجله عرق النَّساء، فلم يزل دمه ينزف حتى مات. ويقال إِن السهم أَصاب ثغرةَ نحره، ولا يختلفُ العلماءُ الثقات أَن مـروان قتل طلحةَ يومئذٍ وكان في حزبه.

وعن ابن سيرين قال: رُمي طلحةُ بسهمٍ فأَصاب ثغرة نحره، قال: فأَقرَّ مروان أَنَّه رماه. وعن قيس بن أَبـي حازم قال: رَمَى مروان بن الحكم يومَ الجمل طلحةَ رضي الله تعالى عنه بسهم في ركبته قال: فجعل الدمُ يسيلُ فإذا أَمسكوه استمسك، وإِذا أَرسلوه سال: قال: فقال: دعوه، قال: وجعلوا إِذا أَمسكوا فم الجرح انتفخت ركبته، فقال: دعوه فَإنما هو سهمٌ أَرسله الله، قال: فمات فدفنّاه على شاطىء الكلاَّء.

قال أَبو علي الغساني: الكلاَّء: مَحْبِس السفن، ذكره أَبو علي البغدادي في باب فَعَّال من «الممدود».

رجع: فرأى بعض أهله أنه أتاه في المنام فقال: ألا تريحني من هذا الماء فإني قد غرقت ــ ثلاث مرات يقولها ــ قال: فنبشوه فإذا هو أخضر كأنه السلق، فنزفوا عنه الماء ثم استخرجوه، فإذا ما يلي الأرض من لحيته ووجهه قد أكلته الأرض، فاشتروا له داراً من دور آل أبي بكرة بعشرة آلافٍ فدفنوه فيها.

(٧٧٠) وقتل رحمه الله تعالى ورضي عنه يومَ الجمل، وكانت وقعة الجمل لعشرٍ خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وهو ابن ستين سنة، وقيل ابن اثنتين وستين، وقيل كانت سنه يوم قُتِلَ خمساً وسبعين سنة، وما أظنّ ذلك.

٢ ــ **سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه**: قال أبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٦١٤): سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبدالعُزَّى بن رَبَاح بن عبدالله بن قُرْط بن رَزَاح بن عَديّ بن كعب بن لؤي القرشي العدوي ويكنى أبا الأعور، وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، كانت تحته فاطمة بنت الخطاب أُخت عمر بن الخطاب، وكانت أُخته عاتكة بنت زيد بن عمرو تحت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم، وكان سعيد رضي الله تعالى عنه من المهاجرين الأولين، وكان إسلامه قديماً قبل عمر، وهاجر هو وامرأته فاطمة بنت الخطاب، ولم يشهد بدراً لأنه كان غائباً بالشام، قدم منها بعقب غزاة بدر، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره. فقصته أشبه القصص بقصة طلحة بن عبيدالله.

وقد تقدم عند ذكر طلحة بن عبيدالله قول الواقدي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد بعث قبل أن يخرج من المدينة إلى بدر طلحة بن عبيدالله وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتحسسان الأخبار ثم رجعا إلى المدينة فقدماها يوم وقعة بدر، فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهميهما وأجريهما[1].

---

(١) م: وأجرهما.

وقد قيل إنه شهد بدراً وشهد ما بعدها من المشاهد، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة رضوان الله تعالى عليه.

وذكر أبو عمر ابن عبدالبر (٦١٩) قصته مع أَروى بنت أُويس ودعاءه عليها لما تظلمت منه بما لم يفعل وإِجابة دعوته عليها من طرق مختلفة فجمعت معانيها:

قال أَبو عمر بسنده عن أَبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[1] قال: جاءت أَروى بنت أُويس إلى محمد بن عمرو بن حزم بن محمد فقالت له: يا أَبا عبدالملك إن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بنى ضفيرة في حقي، فأْتِهِ فكلِّمْه فلينزعْ عن حقي، فوالله لئن لم يفعل لأصيحنَّ به في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لها: لا تؤذي صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان ليظلمك ولا يأْخذ لك حقاً.

(٦١٨) وبسنده عن العلاء بن عبدالرحمن عن أَبيه: أَن أَروى بنت أُويس استعدت مروان بن الحكم على سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه في أَرضه بالشجرة، فقال سعيد: كيف أَظلمها، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مَنْ ظلم من الأَرض شبراً طُوِّقَهُ يومَ القيامة من سبع أَرضين. وأوجب عليه مروان اليمين، فترك سعيد رضي الله تعالى عنه لها ما ادَّعَتْ وقال: اللهم إن كانت كاذبةً فلا تمتها حتى تُذْهِب بصرها، وتجعل قبرها في بئر. فهدمتِ الضفيرة وبنتْ بنياناً، فعميت أَروى، وجاء سيلٌ فأَبدى ضفيرتها، فرأوا حقَّها خارجاً من حق سعيد، فجاء سعيد إلى مروان فقال: أَقسمت عليك لتركبنَّ معي وتنظرن إلى ضفيرتها، فركب معه مروان وركب ناسٌ معهما حتى نظروا إليها. ثم إن أَروى خرجت في بعض حاجتها بعدما عميت فوقعت في البئر فماتت. قال: وكان أَهل المدينة يدعو بعضهم على بعض يقولون: أَعماك الله كما أَعمى أَروى، ثم صار أَهل الجهل يقولون: أَعماك الله كما أَعمى الأَروى، يريدون الأَروى التي في الجبل يظنونها ويقولون إنها عمياء، وهذا جهل منهم.

---

(١) بن محمد... بن حزم: سقط من م.

توفي سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنهم بأَرضه بالعقيق، ودُفِنَ بالمدينة في أَيام معاوية سنة خمسين أَو إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين.

٣ ـ بُسَيْسَة: قال القاضي أَبو الفضل عياض رحمه الله تعالى في «المشارق» (١:١١٢): بُسَيسة بضم الباء وفتح السين المهملة مصغر كذا في جميع النسخ، والمعروف في اسمه: بَسْبَس بباءين بواحدة فيهما مفتوحتين، وسينين مهملتين الأُولى ساكنة، قال: وكذا ذكره ابن إسحاق وابن هشام وغيرهما، وكذا جاء عند بعض رواة مسلم لكن بزيادة هاء بَسْبَسة. انتهى.

بَسْبَس بن عمرو الجهني رضي الله تعالى عنه حليف بني ساعدة، هكذا قال ابن إسحاق حسبما تقدم.

وقال أَبو عمر ابن عبدالبر (١٩٠) رحمه الله تعالى: بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان الذبياني ثم الأَنصاري حليف لبني طريف بن الخزرج، قال: ويقال بسبس بن بشر حليف للأَنصار، شهد بدراً، وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدي بن أَبي الزَّغْباء ليعلما علمَ عِير أَبي سفيان بن حرب، ولبسبس هذا يقول الراجز:

* أقم لها صدورها يا بسبس *

انتهى.

قال ابن هشام في «السير» (١:٦٤٣): هذا الراجز هو عدي بن أَبي الزغباء، قاله حين أَقبل رسول الله صلى الله عيه وسلم قافلاً من غزوة بدر، ووصله بأَشطار وهي[١]: [من الرجز]

أَقم لها صُدورَها يا بَسْبَسُ ... ليس بذي الطَّلْحِ لها مُعَرَّسُ
ولا بصحراءِ غُمَيْرٍ مَحْبِسُ ... إن مطايا القومِ لا تُحَبَّس
فحملها على الطريقِ أَكيسُ ... قد نصر اللَّه وفَرَّ الأَخْنَسُ[٢]

(١) من الرجز أربعة أشطار في مغازي الواقدي: ٤٥ واثنان في أسد الغابة ١:١٩٧.
(٢) هو الأخنس بن شريق. انظر مغازي الواقدي: ٤٤ ـ ٤٥.

٤ ـ **عدي بن الزغباء رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (١٠٥٩) عدي بن الزغباء. ويقال ابن أَبي الزغباء، واسم أَبي الزغباء سنان بن سبيع بن ثعلبة الجهني من جهينة: حليف بني النجار من الأَنصار. قال موسى بن عقبة: عدي بن أَبي الزغباء حليف لبني مالك بن النجار من جهينة شهد بدراً وأُحداً والخندق وسائرَ المشاهدِ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عيناً مع بسبس بن عمرو الجهني يتحسسان له عير أَبي سفيان بن حرب في قصة بدر. انتهى.

٥ ـ **حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه**: تقدم ذكره في باب كاتب الجيش.

٦ ـ **بسر بن سفيان الخزاعي رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (١٦٦) بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي، أسلم سنة ست من الهجرة، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم عيناً إلى قريش إلى مكة وشهد الحديبية، وهو المذكور في حديث الحديبية من رواية الزهري عن عروة عن المِسْور ومروان وقوله فيه: حتى إذا كان بغدير الأَشطاط لقيه عينُهُ الخزاعيُّ فأَخبره خَبَرَ قريشٍ وجموعهم قالوا: هو بسر بن سفيان هذا. انتهى.

وفي «السير» (٢: ٣٠٩) لابن إسحاق في قصة الحديبية قال: ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة من سنة ست معتمراً لا يريد حرباً، حتى إذا كان بعُسْفان لقيه بسر بن سفيان الكعبيّ فقال: يا رسولَ الله هذه قريشٌ قد سمعت بمسيرك معهم العُوذُ المطافيلُ، قد لبسوا جلودَ النمور، وقد نزلوا بذي طُوًى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وساق الحديث.

٧ ـ **عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (٨٨٧): عبدالله بن أَبي حَدْرَد الأَسلمي، يكنى أَبا محمد، واسم أبي حدرد سلامة بن عُمَيْر بن أَبي سلامة بن هوازن بن أَسْلَم، وقيل عبيد بن عمير بن أَبي سلامة بن سعد من ولد هوازن بن أسلم. أَول مشاهد عبدالله هذا الحديبية ثم خيبر وما بعدها، وكان من وجوه أَصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

وممن كان يؤمّره على السرايا، وأنكر بعضهم أن تكون له صحبة لروايته عن أبيه، قال أبو عمر: وذلك ليس بشيء، وقد روى ابن عمر وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم. ويعد عبدالله بن أبي حدرد في أهل المدينة، وتوفي سنة إحدى وسبعين وهو ابن إحدى وثمانين سنة في زمن مصعب بن الزبير. انتهى.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأولى: في «المشارق» (٢: ١٤٣) غدير الأشطاط بفتح الهمزة وإسكان الشين بعدها طاء مهملة وألف وطاء أخرى وهو تلقاء المدينة.

الثانية: في «المشارق» (٢: ١٠٥) العُوذ المطافيل بضمِّ العين: هي النوق بفصلانها، وقيل النساء مع الأولاد، وأصلُهُ الناقةُ لأولِ ما تضع حتى يقوى ولدها، وهي كالنفساء من النساء. والمطافيل: ذواتُ الأطفال، وهم صغار البنين. وقال الخليل: العوذُ واحدها عائذ وهي كل أنثى لها سبع ليال منذ ولدت.

قلت: وذاله معجمةٌ من «الصحاح» (٢: ٥٦٧) وغيرها.

الثالثة: قال أبو ذر الخشني في «غريب السيرة» (٢: ٣٣٩): قوله قد لبسوا جلود النمور: النمور: جمع نمر، وهو ضرب من السباع، وهو مثلٌ يكنى به عن إظهار العداوة، يقال للرجل الذي يُظْهِرُ العداوةَ والتنكر: قد لبس لي جلدَ النمر[1].

---

(١) قوله: وهو ضرب... النمر: لم يرد في غريب السيرة.

الباب الرابع والثلاثون
في الرجل يتخذ في بلد العدوّ عيناً يكتبُ بأخبارهم إلى الإمام

في «الاستيعاب» (٨١٢) في أخبار العباس بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو عمر: أسلم العباسُ قبلَ فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه، ويقال إن إسلامه كان قبل بدر وكان يكتبُ بأخبار المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ مقامك بمكة خير فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لقي منكم العباسَ فلا يقتله فإنما أُخْرِجَ كرهاً. وقد تقدم ذكر هذا في باب السقاية[1] مع سائر أخباره رضي الله تعالى عنه.

---

(١) انظر ما تقدم ص: ١٦٣.

الباب الخامس والثلاثون
في المخذِّل
وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر من بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك، وهو نُعَيم بن مسعود بن عامر الأشجعي رضي الله تعالى عنه وذكر نسبه وأخباره

قال ابن حزم رحمه الله تعالى في «الجماهر» (٢٥٠): هو نُعَيم بن مسعود بن عامر بن أُنيف بن ثعلبة بن قُنْفُذ بن حَلاوة[1] بن سُبيع بن أَشْجَع بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قَيْس عَيْلان، له صحبة وهو الذي شَتَّتَ جموعَ الأحزاب رضي الله تعالى عنه. وخالفَ ابنُ إسحاق ابنَ حزم في نسبه فقال: قنفذ بن هلال بن حلاوة، فزاد هلالاً، وقال: حلاوة بن أَشجع فنقص سُبَيْعاً.

وقال أَبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في «الاستيعاب» (١٥٠٨): نعيم بن مسعود بن عامر الأَشجعي، هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَسلم في الخندق وهو الذي خذَّلَ المشركين وبني قريظة حتى صرف الله كيدَهُمْ، ثم أَرسل عليهم ريحاً وجنوداً لم تُر. وخبره في تخذيل بني قريظةَ والمشركين في السير عجيب... سكن المدينة، ومات في خلافة عثمان، وقيل بل قتل في الجمل الأول قبل قدوم علي رضي الله تعالى عنه مع مجاشع بن مسعود السُّلمي وحكيم بن جبلة.

---

(١) الجمهرة: خلاوة.

تنبيــه:

كان مجاشع بن مسعود مع أَهل الجمل، وانحاز عنهم حكيم بن جَبَلة في نصر عثمان بن حُنيف عامل عليّ رضي الله تعالى عنه على البصرة، فوقعت بينهم حرب قتل فيها من الفريقين قتلى، فذلك اليوم هو الذي أَراد أَبو عمر بقوله في الجمل الأول، قاله ابن الأثير في تاريخه.

وقال: حُكَيم بن جبلة ــ بضم الحاء وفتح الكاف ــ وقيل بفتح الحاء وكسر الكاف.

فائدة لغوية:

الجوهري (٤:١٦٨٣) خَذَّل عنه أَصحابه تخذيلاً: أي حملهم على خذلانه، وتخاذلوا: أَي خَذَلَ بعضهم بعضاً.

الفارابي (٢:١٢٨) خذل بفتح الخاء في الماضي يخذلُ بضمها في المستقبل خِذْلاناً، والخِذْلَانُ ضدُّ النصر.

الفصل الثاني
في ذكر خبره رضي الله تعالى عنه
في تخذيل بني قريظة والمشركين

قال ابن إسحاق (٢:٢٢٩ ــ ٢٣٣): ثم إنَّ نعيم بن مسعود الأَشجعي أَتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني قد أَسلمتُ وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أَنت فينا رجل واحد فَخَذِّلْ عنَّا إن استطعت فإن الحرب خَدْعة. فخرج نعيم بن مسعود حتى أَتى بني قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصةَ ما بيني وبينكم، قالوا: صدقتَ لستَ عندنا بمتّهم، فقال لهم: إنّ قريشاً وغطفان ليسوا كأَنتم، البلد بلدكم به أَموالكم وأَبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أَن تَحَوَّلُوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفانَ قد جاءُوا لحربِ محمد وأَصحابه وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأَموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأَنتم، فإن رأَوا نُهْزَةً

أَصابوها، وإن كان غيرَ ذلك لحقوا ببلادهم وخلُّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، فلا طاقةَ لكم به إن خلا لكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُناً من أَشرافهم يكونون بأَيديكم ثقةً لكم على أَن يقاتلوا معكم محمداً حتى تُناجزوه، فقالوا: أَشرتَ بالرأي، ثم خرج حتى أَتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه من رجالهم: قد عرفتم وُدِّي لكم وفراقي محمداً، وأَنه قد بلغني أَمرٌ رأَيت عليَّ حقاً أَن أُبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني، قالوا: نفعل، قال: تعلمون أَن معشرَ يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أَرسلوا إليه: إِنَّا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أَن نَأخذ لك من القبيلتين من قريشٍ وغطفان رجالاً من أَشرافهم فنعطيكهم فتضربَ أَعناقهم، ثم نكونُ معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأَرسل إليهم: نعم، فإن بعثتْ إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً؛ ثم خرج حتى أَتى غطفان فقال: يا معشر غطفان إِنكم أَصلي وعشيرتي، وأَحبُّ الناس إليَّ ولا أَراكم تتهموني قالوا: صدقت ما أَنت عندنا بمتّهم، قال: اكتموا عني، قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثلَ ما قال لقريشٍ وحذَّرهم ما حذرهم. فلما كانت ليلة السبت، وكان ذلك من صنع الله لرسوله، أَرسل أَبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمةَ بن أَبي جهل في نفَرٍ من قريش وغطفان فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مُقام، قد هلك الخُفُّ والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغَ مما بيننا وبينه، فأَرسلوا إليهم: إن اليومَ يومُ السبت، وهو يومٌ لا نعملُ فيه شيئاً، وقد كان أَحدَثَ فيه بعضُنا حدثاً فأَصابه ما لم يَخْفَ عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تُعْطونا رُهُناً من رجالكم يكونون بأَيدينا ثقةً لنا حتى نناجزَ محمداً، فإنا نخشى إن ضرَّستكم الحربُ واشتد عليكم القتال أَن تَنْشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجلَ في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه، فلما رجعتْ إليهم الرسلُ بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحَقٌّ، فأَرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حينَ أَنهت إليهم الرسلُ بهذا: إِنَّ الذي ذكر لكم نعيم بن

مسعود لحقٌ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصةً انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنّا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً فأبوا عليهم، وخذّل الله تعالى بينهم، وبعث عليهم الريحَ في ليالٍ شاتية شديدةِ البرد، فجعلت تكفأُ قدورهم، وتطرحُ آنيتهم، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم، وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفةَ بن اليمان فبعثه ليلاً لينظر ما فعل القوم.

فحدث حذيفة رحمه الله تعالى ورضي عنه وقد قال له رجل من أهلِ الكوفة: يا أبا عبدالله أرأيتم رسولَ الله وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابنَ أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال الرجل: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا، فقال حذيفة: يا ابنَ أخي لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق، وصلّى هُوِيّاً من الليل ثم التفتَ إلينا فقال: مَنْ رجلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القومُ ثم يرجع؟ ـ يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة ـ أسأل الله أن يكونَ رفيقي في الجنة، فما قام رجلٌ من القوم من شدةِ الخوف وشدة الجوع وشدة البرد؛ فلما لم يقم أحد دعاني، فلم يكن لي بدٌّ من القيام حين دعاني، فقال: يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون، ولا تُحْدِثَنَّ شيئاً حتى تأْتينا، فذهبت فدخلتُ في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقِرُّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً، فقام أبو سفيان فقال: يا معشرَ قريش لينظر امرؤٌ من جليسه، قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت: من أنت؟ فقال: فلان ابن فلان، وذكر ابن عقبة أنه فعل ذلك بمن يلي جانبيه يميناً ويساراً، قال: وبدرهم المسألة خشيةَ أن يفطنوا له. قال حذيفة: ثم قال أبو سفيان: يا معشرَ قريش إنكم والله ما أصبحتم بدارِ مُقام، هلك الكُراعُ والخُفّ، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدرٌ ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقولٌ فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث، فما أُطلق عقاله إلا وهو قائم،

ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليَّ أن لا تُحْدِثَ شيئاً حتى تأْتيني، ثم شئت، لقتلتُه بسهم. فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مِرْطٍ لبعضِ نسائه، فلما رآني أَدخلني إلى رجليه وطرح عليَّ طَرَفَ المرط ثم ركع وسجد وإني لفيه، فلما سلَّم أخبرته الخبر. وسمعتْ غَطَفانُ بما فعلت قريشٌ فانشَمَروا راجعين إلى بلدهم، ولما أَصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون معه.

فوائد لغوية في أربع مسائل:

الأُولى: قوله عليه السلام: الحرب خَدْعَة: حكى القاضي في «المشارق» (١: ٢٣١) فيها أَربع لغات فتح الخاء وسكون الدال. قال أبو ذر: وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم. والثانية: بضم الخاء وسكون الدال أيضاً. والثالثة: ضم الخاء وفتح الدال. والرابعة: فتحهما معاً. وقال: من قال خدعة بفتح الحاء وسكون الدال، أي ينقضي أَمرها بخدعة واحدة، أي من خُدِع فيها خَدْعَةً زَلَّت قدمه ولم يُقْل، فلا يؤمن شَرُّها وليتحفظ من مثل هذا، ومن قاله بضم أَولها وسكون ثانيها فمعناها: أَنها تخدع أَي أَهل الحرب ومباشريها، ومن قال بضم الأَول وفتح الثاني فمعناه: أَنها تَخْدَعُ من اطمأَنَّ إليها، وأَن أَهلها كذلك، ومن فتحهما فخَدعة جمع خادع أي أَهلها بهذه الصفة فحذف أَهلها وأَقام الحرب مقامهم كما قال تعالى: ﴿واسأل القرية﴾.

الثانية: قال الخشني (٢: ٣٠٥): ضرَّستكم الحرب، أَي نالت منكم كما يصيب ذو الأَضراس بأَضراسه.

الثالثة: قال الخشني (٢: ٣٠٥): تنشمروا: تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم.

الرابعة: في «المحكم»: مضى هُوِيٌّ من الليل وتَهواء أَي ساعة منه؛ وفي «الديوان» (٤: ٥٦): على وزن سَوِيّ بفتح الهاء.

الباب السادس والثلاثون

في صانع السفن وأول من صنع السفينة (١)

قال القاضي محمد بن سلامة القضاعي في «كتاب الأنباء» في أخبار نوح عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام بعمل السفينة فكانت من الساج طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعاً، وارتفاعها ثلاثون ذراعاً، وبابها في عرضها ثلاث طبقات: طبقة فيها الدواب، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطيور. واختلف في عدد من ركب معه، فقال ابن عباس: ثمانون رجلاً: يعني نفسَه وبنيه ثلاثة: سام وحام ويافث، وكنائنه ثلاثاً وثلاثة وسبعين من ولد شيث آمنوا به. وقال قتادة: ثمانية هو وبنوه وكنائنُه وزوجه، وقال الأعمش: سبع عشرة ولم يذكر زوجته، وقال ابن إسحاق: عشرة، وقال وهب: استقلت السفينة في عشر خلت من رجب، فكانت في الماء مائةً وخمسين يوماً، ثم استقرت على الجودي ـ جبل بالجزيرة ـ شهراً، وخرج إلى الأرض في اليوم العاشر من المحرم، وابتنى قرية بأرض الجزيرة تسمى سوق ثمانين.

وفي كتاب «نفحة الحدائق»: قال أبو عمر ابن عبدالبر: روينا عن الهيثم بن عدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان جَمْعُ الناسِ حين خرجوا من السفينة ببابل فنزلوا سوق ثمانين من الجزيرة، وابتنى كلُّ واحدٍ منهم بيتاً، وكانوا ثمانين رجلاً وبهم سُمِّيَ سوق ثمانين.

---

(١) كتب المعلق بهامش ط هنا: لا علاقة لهذا الباب بموضوع الكتاب.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى: في «الصحاح» (٥: ٢١٣٥): السَّفَنُ: ما يُنْحَتُ به الشيء والمِسْفَنْ مثله، وقال: [من البسيط]

* وأَنْتَ في كفــك المِبْــرَاةُ والسَّفَن[1] *

يقول إنك نَجَّار، وسَفَنْتُ الشيء سفْناً: قشرت، والسفين جمع سفينة. قال ابن دريد: سَفِينة فعيلة بمعنى فاعلة كَأَنَّها تَسْفِنُ الماء أي تقشره.

وفي «الأفعال» لابن القوطية (١: ١٣٦): سَفَنَ الشيءَ على غيره: جَرَّهُ[2]، ومنه السفينة. قلت: ويحتمل أَن تكون سميت سفينةً لأنها تُسْفَنُ بِالمِسْفَنِ أَي تُنْحَتُ. وفي «المحكم»: السَّفّانُ صانِعُ السُّفُنِ وسائسها، وحِرْفَته السِّفانَة، وجمع السفينة: سفائن، وسُفُن، وسفِين.

الثانية: في «الصحاح» (١: ٣٢٣): الساجُ ضربٌ من الخشب، زاد في «المشارق» (٢: ٢٢٩): يؤتى به من الهند.

الثالثة: في «الصحاح» (٥: ١٨٠٤): استقلت السماء: ارتفعت، واستقل القوم: مَضَوْا وارتحلوا.

---

(١) الشطر في اللسان (سفن) عن الجوهري.

(٢) ابن القوطية: مرَّ.

الباب السابع والثلاثون

في استعمال السفن
وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول
في ذكر ما استعمل منها
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرم

١ ـ سفينتا جعفر بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنه:

في «الاستيعاب»[1]: قال الواقدي رحمه الله تعالى: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أُمية الضمري رضي الله تعالى عنه في سنة ست إِلى النجاشي يدعوه إِلى الإِسلام فأَسلم النجاشي رضي الله تعالى عنه وشهد أَن لا إِله إِلا الله وأَن محمداً رسول الله، قال: وأَرسل إِليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليزوجه أُمَّ حبيبة بنت أَبي سفيان ويبعث بها إِليه ويحمل من عنده من المسلمين ففعل. انتهى.

وقال ابن إِسحاق في «السير» (٢: ٣٥٩): كان من أَقام بأَرض الحبشة من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلى النجاشي عمرو بن أُميّة الضَّمْرِيّ رضي الله تعالى عنه وحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية، ستة عشر رجلاً، منهم جعفر بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنه، وسماهم وذكر معهم من أَبنائهم ونسائهم عشرة.

---

(١) لم أشر إِلى موضعه في الاستيعاب لأن الترجمة في الطبعة المصرية مبتورة، وقد تقدمت الإِشارة إِلى ذلك.

قال: وقد كان حمل معهم النجاشي في السفينتين نساء من هلك هنالك من المسلمين.

وقال ابن هشام (٢: ٣٥٩) عن الشعبي: إن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر، فقبَّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والتزمه وقال: ما أدري بأيهما أنا أسرُّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر. انتهى.

٢ ـ سفينة الأشعريين أبي موسى وإخوانه وقومهم رضي الله تعالى عنهم:

روى البخاري (٤: ١١٠)[1] رحمه الله تعالى عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: بَلَغَنا مَخْرَجُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ونحنُ باليَمنِ، فخَرَجْنَا مُهاجِرِينَ إليه أنَا وأَخَوانِ لي، أنا أصغرهم أحدهما أبو بُردَةَ والآخر أبو رُهْمٍ، إمَّا قال: في بضع وإمَّا قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قَوْمِي، فركبنا سفينةً، فألْقَتْنَا سفينتُنَا إلى النجاشِيِّ بالحبشة، ووافَقْنا جعفرَ بنَ أبي طالبٍ وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا ها هنا وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا فأقَمْنا معه حتى قَدِمْنَا جميعاً، فوافَقْنَا النبيَّ صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، أو قال: فأعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم له معهم. انتهى.

٣ ـ سفن غير معينة:

روى مالك رحمه الله تعالى في «الموطأ» (٢٦) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنَّا نركبُ البحر، ونحملُ معنا القليلَ من الماء، فإنْ توضأْنا به عَطِشْنا، أفنتوضأُ من ماءِ البحر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو الطهور ماؤه الحل ميته.

---

(١) قارن أيضاً بالبخاري ٥: ٦٤، ١٧٥.

فائدة لغوية:

في «الغريبين» البِضْع من الشيء: القطعة منه، والعربُ تستعمل ذلك فيما بين الثلاث إلى التسع، والبضع والبضعة واحد، ومعناهما: القطعة من العدد. وفي «الصحاح» (٣:١١٨٦): بضع في العدد بكسر الباء، وبعض العرب يفتحها: وهو ما بين الثلاث إلى التسع، تقول: بضع سنين، وبضعة عشر رجلاً، وبضع عشرة امرأَة، فإذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضعُ لا تقول: بضع وعشرون. انتهى.

قلت: قد جاء ذلك في الحديث الذي قبل هذا من تخريج البخاري في خبر أَبي موسى.

وقال القاضي في «المشارق» (١:٩٦) قوله: بضعاً وخمسين سورة، وبضعاً وثلاثين ملكاً: بكسر الباء، فقيل: البضع والبضعة، وقيل: بفتحهما أَيضاً ما بين ثلاثة إلى عشرة.

الفصل الثاني
في ذكر أَنسابهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ــ **عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه**: تقدم ذكره في باب الوكيل في الجزء الرابع من هذا الكتاب فأَغنى عن إِعادته.

٢ ــ **جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (٢٤٢): جعفر بن أَبي طالب. يكنى أَبا عبدالله، واسم أَبي طالب عبدمناف بن عبدالمطلب بن هاشم. كان جعفر أَشْبَه الناسِ خَلْقاً وخُلُقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢٤٣) وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجعفر: أشبهت خَلْقي وخُلُقي يا جعفر.

(٢٤٢) وكان جعفر أَكبر من علي رضي الله تعالى عنهما بعشر سنين، وكان عقيل أَكبر من جعفر بعشر سنين، وكان طالب أَكبر من عقيل بعشر سنين، وكان

جعفر من المهاجرين الأَولين هاجر إِلى أَرض الحبشة، وقدم منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر فتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم واعتنقه وقال: ما أَدري بأَيهما أَنا أَشد فرحاً بقدوم جعفر أَو بفتح خيبر. وكان قدوم جعفر وأَصحابه من أَرض الحبشة في السنة السابعة من الهجرة، واختط له رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلى جنب المسجد.

ثم غزا غزوةَ مؤتة، وذلك في سنة ثمان من الهجرة، فقتل فيها، قاتل فيها رضي الله تعالى عنه حتى قُطِعَتْ يداه جميعاً، ثم قُتِلَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِن الله أَبدله بيديه جناحين يطيرُ بهما في الجنة حيث شاء، فمن هنالك قيل له: جعفر ذو الجناحين.

(٢٤٣) روينا عن ابن عمر أَنه قال: وجدنا ما بين صَدْرِ جعفر بن أَبي طالب ومنكبيه وما أَقبل منه تسعينَ جراحةً ما بين ضربةٍ بالسيف وطعنةٍ بالرمح، وقد روي أَربع وخمسون جراحة، والأَول أَثبت. ولما أَتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم نعيُ جعفر أَتى امرأَته أَسماءَ بنت عميس فعزاها في زوجها جعفر، ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: واعماه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: على مثلِ جعفرٍ فلتبكِ البواكي.

وعن ابن المسيب قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مُثِّلَ لي جعفرٌ وزيد وابن رواحة في خيمةٍ من دُرّ، كلُّ واحدٍ منهم على سرير، فرأَيت زيداً وابنَ رواحة في أَعناقهما صدود، ورأَيت جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود، قال: فسأَلت، أَو قيل لي: إِنهما حين غشيهما الموت أَعرضا أَو كأَنهما صدَّا بوجههما وأَما جعفر فلا. وجعفر أول من عرقب فرساً في سبيل الله نزل يوم مؤتة إِذ رأى الغلبة فقاتل حتى قتل.

وعن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه: ما احتذى النعالَ ولا ركبَ المطايا ولا وَطِيءَ الترابَ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أَفضلُ من جعفر.

قال الزبير بن بكار: كانت سن جعفر بن أَبي طالب يومَ قُتِلَ إحدى وأَربعين سنة. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: مُؤتة التي استشهد بها جعفر رضي الله تعالى عنه في «المشارق» (١: ٣٩٥)[١]: بضم الميم وسكون الهمز وفتح التاء باثنتين من فوق؛ قاله الفراء وثعلب: موضعٌ بالشام، حيث استشهد جعفر بن أَبي طالب وزيد بن حارثة وابن رواحة ومن قُتِلَ معهم من المسلمين، وأَكثر الرواة يقولونه بغير همز.

الثانية: في «الصحاح» (٦: ٢٥١٢): النَّعيُ خبر الموت، يقال: نعاه له نَعْياً ونُعياناً بالضم، وكذلك النعيّ على فعيل، يقال: جاء نعيّ فلان، والنعيّ أَيضاً: الناعي وهو الذي يجيء بخبر الموت.

وأَنشد الأَعلم لامرىء القيس[٢]: [من الوافر]

أَلاَ إِلاَّ تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى ... كَأَنَّ قُرونَ جِلَّتِهَا العِصِيُّ

إِذا مُشَّتْ حَوَالِبُهَا أَرَنَّتْ ... كَأَنَّ الحَيَّ صَبَّحَهُمْ نَعِيُّ

٣ ـ أَبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه: تقدم ذكره في باب المفتي في الجزء الثاني من هذا الكتاب فأَغنى عن الإعادة هنا

الفصل الثالث

في إخبار النبي صلى الله عليه وسلم أَن ناساً من أُمته يركبون البحر غُزاةً في سبيل الله ملوكاً على الأسرَّة أَو مثلَ الملوكِ على الأسرَّة، وفي ذكر أَول من ركبه للغزو

روى مالك رحمه الله في «الموطأ» (٣٠٩) عن إِسحاقَ بنِ عبدِالله رحمه الله تعالى عن أَنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كانَ رسولُ الله صلى الله عليه

---

(١) النقل هنا عن المشارق ببعض تصرف.

(٢) ديوان امرىء القيس: ١٣٦.

وسلم إذا ذهبَ إلى قُباء، يدخُلُ على أُمّ حَرام بِنْتِ مِلْحان رضي الله تعالى عنها فتطعمهُ، وكانت أُمُّ حرام تحْتَ عُبادةَ بنِ الصامت رضي الله تعالى عنه، قال: فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فأَطعمته، وجعلت[1] تفلي رأْسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يُضْحِكُكَ يا رسولَ الله؟ قال: ناسٌ من أُمتي عُرِضُوا عليّ غُزاةً في سبيل الله، يركبون ثَبَج هذا البَحْرِ، ملوكاً على الأَسِرَّةِ، أَو مِثْلَ الملوك على الأَسرة ـ يشكُّ إسحاق ـ قالت، فقلت: يا رسول الله ادْعُ الله أَن يجعلني منهم، ثم وضع رأْسه فنام ثم استيقظ يضحك قالت: فقلت: يا رسول الله ما يضحكك؟ قال: ناسٌ من أُمتي عُرِضوا عليَّ غُزاة في سبيلِ الله يركبون ثَبَجَ هذا البحر ملوكاً على الأَسرة، أَو مثلَ الملوكِ على الأَسرة، كما قال في الأُولى، فقلت يا رسول الله: ادع الله أَن يجعلني منهم فقال: أَنتِ من الأَولين. قال: فَرَكِبَتِ البحرَ في زمن معاوية بن أَبي سفيان فصُرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.

قال أَبو عمر ابن عبدالبر (١٩٣١) رحمه الله تعالى: خَرَجَتْ مع زوجها عبادةَ بن الصامت رضي الله تعالى عنهما غازيةً في البحر فلما وصلوا إلى جزيرة قبرس خرجت من البحر فقرَّبَتْ إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت ودفنت في موضعها وذلك في إمارة معاوية وخلافة عثمان رضي الله تعالى عنهم، ويقال إن معاويةَ غزا تلك الغزاةَ بنفسه ومعه امرأَته فاختة بنت قرظة. انتهى.

تنبيه:

أَول من ركب البحر غازياً في سبيل الله أَهل هذه السفينة التي ركبت فيها أُمُّ حرام لقول النبي صلى الله عليه وسلم لها رضي الله تعالى عنها: أَنت من الأَولين.

وقال القاضي أَبو الفضل عياض رحمه الله تعالى: اسم أُم حرام: الرميصاء. قال، وقال ابن وهب: هي إِحدى خالاتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من

---

(١) م: وجلست.

الرضاعة، فلهذا كان يدخلُ عليها، ويَقيلُ عندها، وينام في حجرها. وقال غير ابن وهب: بل كانت خالةً لأبي النبي صلى الله عليه وسلم أو لجده لِأن أُمَّ عبدالمطلب كانت من بني النجار.

تنبيــه:

قد تقدم ذكر معاوية بن أَبي سفيان رضي الله تعالى عنه في باب كتاب الوحي[1] فأَغنى عن إِعادته الآن.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى في «المشارق» (١:١٢٨) ثَبَج البحر بفتح الثاء والباء: وسطه، وثبج كل شيء وسطه[2]، وقيـل ثبج البحر ظهره، وقد جاء في الرواية الأُخرى: ظهر [هذا] البحر.

الثانية: جزيرة قُبْرس بضم القاف وسكون الباء بواحدة، ضبطها الحافظ أَبو علي الغساني بخطه في نسخته من «كتاب الاستيعاب».

الثالثة: في «الاشتقاق» لابن سيّد: قرظة أَبو فاختة زوجِ معاوية، والقَرَظُ ضربٌ من الشجر يدبغ به. وفي «جامع الاشتقاق» وفي «الديوان» (١:٢١٨) هو القَرَظ بفتح القاف والراء معاً، والواحدة: قرظة.

---

(١) انظر ص: ١٧٢ في ما تقدم.

(٢) وثبج كل شيء وسطه: لم يرد في المشارق.

الباب الثامن والثلاثون

في صانع المنجنيق

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى في «السير» (٢:٤٨٢، ٤٨٣): حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أَهل الطائف بضعاً وعشرين ليلة.

قال ابن هشام: ويقال سبع عشرة ليلة، ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق. قال: وحدثني من أَثق بـه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَولُ من رمى في الإسلام بالمنجنيق، رمى أَهل الطائف. انتهى.

وقال ابن الأَثير في كتابه «الكامل» (٢:٢٦٦) نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم منجنيقاً على أَهل الـطائف أَشار بـه سلمان الفـارسي رضي الله تعالى عنه. انتهى.

وذكر الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين» (١:٣٦٢) أَن جذيمة الأَبرش أَولُ مَنْ رَمَى بالمنجنيق.

فائدة لغوية:

في «الصحاح» (٤:١٣٩٧) الطائف بلاد ثقيف. قال البكري (٨٨٦): وكان اسمها وَجّ بفتح الواو والجيم المضاعفة؛ قال، وقال هشام: إنما سمي الطائف فيما أَخبرني ابن مسكين المدني قـال: أَصاب رجـل من الصَّدِف دمـاء في قومـه بحضرموت، وكان يقال للصدفي: الدَّمُون، ثم خرج هارباً حتى نزل بوَجّ، فحالف مسعود بن مُعَتّب ومعه مالٌ عظيم فقال لهم: هل لكم أَن أَبني طَوْفاً عليكم يكون

لكم ردءاً من العرب؟ قالوا: نعم، فبنى لهم بماله ذلك الطوف، فسمي الطائف لأنه حائطٌ يطيف بهم؛ قال أُمية بن أَبي الصلت[1]: [من الرجز]

نحن بنينا حائطاً حصينا نقارعُ الأَبطالَ عن بنينا

قال القاضي في «المشارق» (١:٣٢٧): الطائف معلوم، وهو وادي وَجّ على يومين من مكة.

(١) ديوان أمية: ٥٩٦ (عن معجم البكري).

الباب التاسع والثلاثون

في الرمي بالمنجنيق

قد تقدم في الباب قبل هذا قولُ ابنِ هشام رحمه الله تعالى: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى أَهلَ الطائف بالمنجنيق.

وفي كتاب «نفحة الحدائق والخمائل في الابتداع والاختراع للأوائل»: أَول من رمى بالمنجنيق في الإسلام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أَهل الطائف.

فائدة لغوية:

ابن قتيبة في «الأَدب» (٥٨٩) مِنجنيق ومَنجنيق بكسر الميم وفتحها؛ وفي «الصحاح» (٤:١٤٥٥) المنجنيق الذي ترمى به الحجارة معربة وهي مؤنثة؛ قال زُفَرُ بن الحارث: [من الطويل]

لقد تركَتْني منجنيقُ ابن بَحْدَلٍ أَحيدُ عن العُصفورِ حين يطيرُ

والجمع منجنيقات ومجانيق، والتصغير: مجينيق. وفي كتاب «المذكر والمؤنث» للفراء: المنجنيق أُنثى، وبعض العرب يسميها المنجنوق، وحكي لي ولم أَسمعه منهم. وفي «المحكم» (٦:٩٤) عن أَبي زيد: جَنَقُونا بالمنجنيق أَي رمونا، والجُنقُ بضم الميم والنون حجارة المنجنيق. وفي «الغريبين» (١:٤١١) الجُنُقُ: أَصحاب تدبير المنجنيق، الواحد جانق[1].

---

(١) لم يقل الهروي: الواحد جانق، وإنما هو مفهوم من قوله: ووكل بهما جانقين

تنبيــه:

انظر قول الجوهري في المنجنيق أولاً: الذي تُرْمَى به الحجارة فذكَّره؛ وقوله بعدُ مُعَرَّبةٌ مؤنَّثة، فإمّا أن يكون وَهِمَ في التذكير، أو يكون تذكيرها لغةً، أو يكون ذلك من الناسخ.

الباب الموفى أربعين
في صانع الدبابات

في كتاب «نفحة الحدائق والخمائل في الابتداع والاختراع للأوائل»: أول دبابة صُنِعَتْ في الإسلام دبابةٌ صنعت على الطائف حين حاصرها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن إسحاق في «السير» (٢:٤٨٣) في قصّةِ حصار الطائف: حتى إذا كان يوم الشَّدْخة عند جدار الطائف دخل نفرٌ من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبَّابةٍ ثم زحفوا بها إلى جدار الطائفِ لِيَخْرِقوه، فأَرسلت عليهم ثقيف سِكَكَ الحديد محماةً بالنار، فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنَّبِل فقتلوا منهم رجالاً. انتهى.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى: في «الروض الأنف» (٧:٢٦٦) الدبابة آلة من آلات الحرب يدخلُ فيها الرجالُ فيدبون إلى الأسوار لينقبوها. وفي «الاشتقاق» لابن سيّد، قال أَبو جعفر: الدبابةُ بيتٌ صغير يعمل من جلود الإبل والبقر، تعمل للحصون، يدخلها الرجالُ فينقبون من داخلها، ويكون سقفها حرزاً لهم من الرمي.

الثانية: لم أَر لأحد ممن تكلم على أَغربة الحديث كلاماً على معنى يوم الشدخة، ويُحْتَمَلُ أن تكونَ الدبابةُ شدختها سِكَكُ الحديدِ المرسلة عليها فَسُمِّي يومَ الشدخة بذلك. وفي «الصحاح» (١:٤٢٤): الشدخ: كَسْرُ الشيء الأَجوف[1].

الثالثة: في «الديوان» (٣:٣٨) السِكة التي يُحْرَثُ بها بكسر السين. انتهى. فيحتمل أَن تكونَ هي المذكورةَ في هذا الحديث، أَو شبْهَهَا تُطْبَعُ من الحديد محددة الأَطراف.

---

(١) زاد في الصحاح: تقول شدخت رأسه فانشدخ.

الباب الحادي والأربعون

في القوم يقطعون الأشجار ويحرقونها

روى مسلم (٢: ٤٩) رحمه الله تعالى عن نافع عن عبدالله أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَرَّقَ نخل بني النَّضِير وَقَطَعَ وَهْيَ البُوَيْرَة.

وزاد ابن قتيبة وابنُ رُمْحٍ [١] في حديثهما: فأنزل الله عز وجل ﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لينةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً علَى أُصُولِها فَبِإِذْنِ الله وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِينَ﴾ (الحشر: ٥).

وفي حديث موسى بن عقبة: ولها يقول حسان[٢] رحمه الله تعالى: [من الوافر]

وهَانَ على سراةِ بني لُؤَيٍّ ... حريقٌ بالبُوَيْرَةِ مستطيرُ

انتهى من كتاب مسلم رحمه الله تعالى.

وقال ابن إسحاق في «السير» (٢: ٤٨٣): أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أَعناب ثقيف، فوقع الناس يقطعون. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: البُوَيْرَة بضم الباء بواحدة وفتح الواو وسكون الياء أُختها والراء المهملة على لفظ التصغير. في «المعجم» (٢٨٥) و«المشارق» (١: ١١٦) قال القاضي: موضعٌ معلوم من بلاد قريظة وبني النضير مذكور في شعر حسان.

الثانية: في «المحكم» اللِّينَة واللُّونَة: كلُّ ضَرْبٍ من النخل ما لم يكن عجوةً أَوْ بَرْنِيًّا. وفي التنزيل ﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ والجمع: لِينٌ، ولُونٌ، ولِيَانٌ.

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن رمح التجيبي مولاهم المصري الحافظ، سمع الليث وابن لهيعة وكان ثقة ثبتاً، وتوفي سنة ٢٤٢ (عبر الذهبي ١: ٤٣٨).

(٢) انظر البيت في (مادة: البويرة من) معجم البكري ومعجم البلدان وعيون الأثر ٢: ٥١ وديوان حسان ١: ٢١٠.

الباب الثاني والأربعون
في حفر الخندق

ذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى في «السير» (٢: ٢١٦) خبر اليهود، لعنهم الله، الذين حزَّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بهم، وما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندقَ على المدينة، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون.

وذكر أبو الفرج الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه «مختصر الصفوة» (١: ٢١٥) عن كثير بن عبدالله المدني عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطَّ الخندق، وقطع لكلِّ عشرة أربعين ذراعاً، فاحتجَّ المهاجرون والأنصار في سلمان، وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقال الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلمان منا أهل البيت. انتهى.

وقال ابن إسحاق في «السير» (٢: ٢١٩): وحُدِّثْتُ عن سلمان الفارسي قال: ضربتُ في ناحية من الخندق فغلظت عليَّ[1] ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريبٌ مني، فلما رآني أضربُ ورأى شدةَ المكان عليَّ، نزل فأخذ المِعولَ من يدي فضرب به ضربةً لمعت تحت المعول برْقَةٌ، قال: ثم ضرب به الثانية فلمعت تحته برقةٌ أُخرى، ثم ضرب به الثالثةَ قال: فلمعت أُخرى، قال فقلت: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله، ما هذا الذي رأيتُ لَمَعَ تحتَ المِعْول وأنت تضرب؟ قال: أو قد رأيتَ ذلك يا سَلْمان؟ قال قلت: نعم، قال: أما الأُولى فإن الله فتح عليَّ بها اليمن،

---

(١) زاد في السيرة: صخرة.

وأَما الثانية فإن الله فتح عليَّ بها الشام والمغرب، وأَما الثالثة فإن الله فتح عليَّ بها المشرق. انتهى.

وروى النسائي[1] رحمه الله تعالى عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: أَمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أَن نحفر الخندق، عرض لنا فيه حجر لا يأخذ فيه المعولُ فاشتكينا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى ثوبه وأَخذ المعول وقال: باسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلثَ الصخرة، قال: الله أكبر أُعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الآن مكاني هذا. قال: ثم ضرب أُخرى وقال: باسم الله، وكسر ثلثاً آخر وقال: الله أَكبر أُعطيت مفاتيحَ فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن. ثم ضرب الثالثة وقال: باسم الله، فقطع الحجر قال: الله أَكبر أُعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر باب صنعاء. انتهى.

قال ابن إسحاق (٢: ٢٢٤) وأَقبل فوارسُ من قريشٍ تُعْنِقُ بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأَوه قالوا: والله إن هذه مكيدةٌ ما كانت العرب تكيدها.

قال ابن هشام (٢: ٢٢٤) يقال إن سلمان أَشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم. انتهى.

وفي كتاب «نفحة الحدائق والخمائل في الابتداع والاختراع للأَوائل»: أَول من ضرب الخندق في الإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة. انتهى.

فوائد لغوية في خمس مسائل:

الأُولى: ضَرَبَ الخندق: عمله وأَنشأَه، وكذلك ضرب الحائط. وفي «المحكم»: الضريبةُ: الطَّبِيعَةُ، وهذه ضريبتُهُ التي ضُرِبَ عليها، وضُرِبَهَا أَي طُبع.

---

(١) قارن بما ورد في سنن النسائي ٦: ٤٣ حيث روى عن رجل من المحررين عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي شرح شعر حاتم لابن السِكِّيت في قول حاتم[1]: [من الطويل]

ولـو شهدتنـا بالمِـراحِ لَأيقنتْ على ضُرِّنا أَنَّا كِرامُ الضـرائبِ

والضرائبُ: الطبائعُ والخلائق.

وقال الأَعلم في شرحه لقول طرفة[2]: [من الطويل]

وَيَأْتِيكَ بالأَخْبارِ من لم تَبِعْ له بَتاتاً ولم تضربْ له وَقْتَ مَوْعد

معنى تضرب: تجعل. يقال: ضربتُ له أجلاً وموعداً: إذا جعلته له.

الثانية: في «المحكم» الخندق: الحفير، وخندق حوله: حَفَرَ خندقاً.

الثالثة: في «الديوان» (٣: ٣٥٤) المِعْوَل بكسر الميم: الفَأْس التي تكسر بها الحجارة، وعينه مهملة.

الرابعة: في «المقصور والممدود» لابن القوطية: صنعـاء مدينة باليمن، يمد ويقصر.

الخامسة: في «الديوان» (١: ٢٢٤) العَنَق بفتح العين والنون: السير الفسيح، وأَعنق يعنق إعناقاً.

---

(١) ديوان حاتم: ٢٠٤.

(٢) ديوان طرفة (شرح الأعلم): ٤٥.

الباب الثالث والأربعون

في صاحب المغانم

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في ذكر من ولي جمعها وحفظها حتى تقسم في يوم بدر

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى في «السير» (١: ٦٤٣) في أخبار يوم بدر: وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على النَّفَل عبدالله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجار رضي الله تعالى عنه.

وكذلك نسبه أبو عمر.

وذكر ابن حزم في «الجماهر» (٤١١ ـ ٤١٢): مَحْمِية بن جَزْء الزبيدي وقال: ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائمَ يوم بدر.

وفي يوم خيبر ذكر ابن إسحاق (٢: ٣٣٩) رحمه الله تعالى في أخبار غزوة خيبر عمن لا يتهم عن عبدالله بن مُغَفَّل المُزنيّ رضي الله تعالى عنه قال: أصبت من فيء خيبر جرابَ شحم فاحتملته على عنقي إلى رحلي وأصحابي، قال: فلقيني صاحب المغانم الذي جُعِل عليها، فأخذ بناحيته وقال: هلمّ هذا حتى نقسمه بين المسلمين، قال قلت: لا والله لا أُعطيكه، قال: فجعل يجاذبني[1] الجراب، قال: فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكاً ثم قال لصاحب المغانم: لا أبالك خلِّ بينه وبينه، قال: فأرسله فانطلقتُ به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه. انتهى.

---

(١) السيرة: يجابذني (وهما سواء).

وقال ابن فتحون في كتابه «ذيل الاستيعاب»: ذكر ابن وهب بسند عن رجل من قريش قال: لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر، جاع بعض الناس، فافتتحوا حصناً من حصونها، فأخذ رجلٌ من المسلمين جرابَ شحم فَبَصُرَ به صاحبُ المغانم وهو كعب بن عمرو بن زيد الأنصاري فأخذه منه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: خلِّ بينه وبين جرابه، فذهب به إلى أصحابه. انتهى.

وقال السهيلي في «الروض الأُنُف» (٦: ٥٦٠ ـ ٥٦١): ذكر ابن إسحاق حديثَ عبدالله بن مغفل ولم يذكر اسم صاحب المغانم. وروي عن ابن وهب أنه [قال]: كان على المغانم يومَ خيبر أبو اليسر كعب بن عمرو بن زيد الأنصاري.

وكذلك قال فيه ابن بشكوال في كتابه «المعجم»: كعب بن عمرو بن زيد، فجعلوا اسمَ والدِ عمرو زيداً، وجعله ابن إسحاق وابن عبدالبر في اسم ولده عبدالله بن كعب في الفصل الذي قبل هذا: عوفاً. وكذلك نسب ابن حزم عبدالله بن كعب في «الجماهر» (٣٥٢)، وأخاه عبدالرحمن بن كعب فقال: عبدالرحمن بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار أحد البكائين المذكورين في القرآن، وأخوه عبدالله بن كعب بدري. انتهى ولم يذكره أبو عمر ابن عبدالبر في كتابه، وذكره ابن فتحون وغيره حسبما تقدم.

وفي يوم حنين قال القاضي محمد بن سلامة القضاعي في كتاب «الأَنْبَاء»: كان بها من السبايا ستة آلاف ومن الإبل والغنم ما لا يدري عدده.

وروى ابن فارس[1] في كتابه «مسند الزهري» عن سعيد بن المسيب أن النبي صلى الله عليه وسلم سبى يومئذٍ ستةَ آلاف بين امرأةٍ وغلام، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم أبا سفيان بن حرب. انتهى.

---

(١) هو محمد بن يحيى بن عبدالله بن خالد بن فارس الذهلي الحافظ النيسابوري يروي عنه البخاري باسم محمد أو محمد بن عبدالله أو محمد بن خالد، لم يكن أحد أعلم بحديث الزهري منه، وكان ثقة صدوقاً توفي سنة ٣٥٨، وصنف حديث الزهري وجوده (تهذيب التهذيب ٩: ٥١١ ـ ٥١٦).

وذكر ابن حزم في «الجماهر» (١٥٦): أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أَبا الجهم بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي على النَّفَلِ يوم حُنَيْن. انتهى.

وذكر ابن الأَثير في كتابه «الكامل» (٢: ٢٦٦) في أَخبار يوم حنين: وأَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأَموالِ فجمعتْ إِلى الجِعِرَّانة وجعل عليها بديل بن ورقاء الخزاعي. انتهى.

وقال ابن إِسحاق رحمه الله تعالى في «السير» (٢: ٤٥٩) كان على المغانم يوم حنين مسعود بـن عمرو القاري[1].

وقال ابن عبدالبر (١٣٩٤): مسعود بن عمرو القاري من القارَة، كان على المغانم يوم حنين، وأَمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أَن يحبس السبايا والأَموال بالجِعِرَّانة. انتهى.

فوائد لغوية في خمس مسائل:

الأُولى: في «الديوان» (٢: ٢٥٢): غنِم القوم بكسر النون يغنمون بفتحها. وفي «الصحاح» (٤: ١٩٩٩): غُنْماً بالضم، والغنيمة والمغنم بمعنى. وقال القزاز: وجمع الغنيمة: غنائم، وجمع المغنم: مغانم.

وقال: وأَصلُ الغنيمة والمغنم: الربح، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الرهن: «له غُنْمُهُ وعليه غُرْمُهُ»: أَي فضله للراهن ونقصانه عليه.

الثانية: في «الصحاح» (٥: ١٨٣٣): النَفَل: بالتحريك: الغنيمة، والجمع الأَنفال؛ قال لبيد[2]: [من الرمل]

* إِنَّ تَـقْـوَى رَبِّـنَـا خَـيْـرُ نَـفَـل *

---

(١) السيرة: الغفاري؛ وفي ط: الغابري؛ وأثبت ما في م؛ ولعل تسميته مسعود بن عمرو وهم من ابن عبدالبر فقد قال ابن الكلبي في الجمهرة إن الذي استعمل على المغانم يوم حنين هو عمرو بن القاري (الإصابة ٦: ٩١).

(٢) ديوان لبيد: ١٧٤ وعجز البيت، وبإذن الله ريثي وعجل. والنفل: الفضل والعطية.

الثالثة: في «المؤتلف والمختلف» لعبدالغني: عبدالله بن مُغَفَّل بالغين معجمة بعدها فاء وهما مفتوحتان والفاء مشددة: هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الرابعة: في «المشارق» (١: ١٤٤) الجِراب: وعاء من جلد كالمزود ونحوه بكسر الجيم؛ قاله الخليل وغيره. وقال القزاز: هو بفتح الجيم. وفي «الصحاح» (١: ٩٨): الجراب معروف والعامة تفتحه، والجمع أَجربة وجُرُب وجُرْب.

الخامسة: في «المشارق» (١: ١٦٨) الجِعِرَّانة: أَصحاب الحديث يقولونه بكسر العين وتشديد الراء، وبعضُ أَهل الاتقان يقولونه بتخفيفها، وكلاهما صواب مسموع.

وعن علي بن المديني: أَن أَهل المدينة ـ وقال البصري: أَهل الحجاز ـ يقولونه بالتثقيل وأَهل العراق يقولونه بالتخفيف، ومذهب الأَصمعي التخفيف، وحَكَى أَنه سمع من العرب من يثقلها. وقال البكري (٣٨٤): وهي ما بين الطائف ومكة، وهي إِلى مكة أَدنى، وبها قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمَ حنين.

الفصل الثاني
في ذكر أَنسابهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ـ **عبدالله بن كعب رضي الله تعالى عنه**: تقدم نسبه عند ذكر اسمه في أَول هذا الباب عن ابن إِسحاق، وكذلك نسبه أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٩٨١) وقال: شهد بدراً وكان على غنائم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان على خمس النبي صلى الله عليه وسلم في غيرها. يكنى أَبا الحارث، وقيل يكنى أَبا يحيى. كانت وفاته بالمدينة سنة ثلاثين، وصلى عليه عثمان رضي الله تعالى عنه وهو أَخو أَبي ليلى المازني. انتهى.

٢ ـ **محمية بن جزء رضي الله تعالى عنه**: يأْتي الكلام عليه في باب صاحب الخمس بعد هذا الباب، إن شاء الله تعالى.

٣ ـ **كعب بن عمرو بن زيد**: لم يذكره أَبو عمر ابن عبدالبر في الاستيعاب، واستدركه ابن فتحون في «الذيل» وقد تقدم ما ذكره ابن فتحون في اسمه قبل هذا، وما ألحقته من قولي السهيلي وابن حزم في اختلافهم في نسبه، ولم أَقف من شأْنه على غير ذلك.

٤ ـ **أَبو سفيان بن حرب**: في «الاستيعاب» (١٦٧٧): أَبو سفيان صخر بن حرب بن أُمية بن عبدشمس بن عبدمناف الأُموي القرشي: هو والد معاوية ويزيد وعتبة وإِخوتهم. ولد أَبو سفيان قبل الفيل بعشر سنين، وكان من أَشراف قريش في الجاهلية. أَسلم يوم الفتح.

وفي حديث ابن عباس عن أَبيه رضي الله تعالى عنه أَنه قال: لما أَتى به العباس وقد أَردفه خلفه يوم الفتح إِلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأَله أَن يؤمنه، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: ويحك يا أَبا سفيان أَما آن لك أَن تعلم أَن لا إِله إِلا الله؟ فقال: بأَبي أَنت وأُمي ما أَوصلك وأَعلمك وأَكرمك، والله لقد ظننتُ أَنه لو كان مع الله إِله غيره لقد أَغنى عنّي شيئاً. فقال: ويحك يا أَبا سفيان أَلم يأْن لكَ أَن تعلم أَني رسول الله؟ فقال: بأَبي أَنت وأُمي ما أَوصلك وأَحلمك وأَكرمك أَما هذه ففي نفسي منها شيء. فقال له العباس: ويلك: اشهد شهادةَ الحقِّ قبل أَن تُضْرَبَ عنقك، فشهد وأَسلم.

وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً مسلماً، وأَعطاه من غنائمها مائة بعيرٍ وأَربعين أُوقية، وزنها له بلال رضي الله تعالى عنه.

واختلف في حسن إِسلامه: فطائفة تروي أَنه لما أَسلم حسن إِسلامه، وذكر عن سعيد بن المسيب عن أَبيه قال: رأَيت أَبا سفيان يومَ اليرموك وهو تحت راية ابنه يزيد يقاتل ويقول: يا نصرَ الله اقترب، وطائفة تروي أَنه كان كَهفْاً للمنافقين منذ أَسلم، وكان في الجاهلية ينسب إِلى الزندقة.

وروي عن الحسن أَن أَبا سفيان دخل على عثمان رضي الله تعالى عنه حين صارت الخلافة إِليه فقال: قد صارت إِليكم بعد تيمٍ وعديّ فأدرها كالكرة واجعل أَوتادها بني أُمية فإِنما هو الملك، وما أَدري ما جنةٌ ولا نار، فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل. قال أَبو عمر: وله أَخبار من نحو هذا رديئةٌ ذكرها أَهلُ الأَخبار، وحديث سعيد بن المسيب يدلُّ على صحةِ إِسلامه، والله تعالى أَعلم.

وفقئت عينه يومَ الطائف فلم يزل أَعور حتى فُقِئَتْ عينه الأُخرى يومَ اليرموك أَصابها حجر فشدخها فعمي، ومات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان، وقيل سنة اثنتين وثلاثين، وقيل سنة إِحدى وثلاثين، وقيل سنة أَربع وثلاثين، ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وقيل ابن بضع وسبعين سنة. انتهى.

٥ ــ **أبو الجهم بن حذيفة رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (١٦٢٣) أَبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عبيد بن عُويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي: قيل اسمه عامر، وقيل عبيد، أَسلم عام الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أَهدى إِلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة لها أَعلام فشغلته في الصلاة فردَّها عليه، هذا معنى رواية أَهل الحديث.

وذكر الزبير بسَنَدٍ أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتي بخميصتين سوداوين فلبس إِحداهما وبعث الأُخرى إِلى أَبي جهم، ثم إِنه أَرسل إِلى أَبي جهم في تلك الخميصة وبعث إِليه التي لبسها، ولبس هو التي كانت عند أَبي جهم بن حذيفة بعد أَن لبسها أَبو جهم لبسات.

وكان أَبو جهم من مشيخة قريش مقدماً فيهم معظماً، عالماً بالنسب، وكانت فيه وفي أَبيه شدّة وعَرامةٌ، وهو أَحد الأَربعة الذين دفنوا عثمان بن عفان وهم: حكيم بن حزام، وجُبَيْر بن مطعم، ونِيَار بن مُكْرَم، وأَبو جهم بن حذيفة.

وعن الزبير قال، قال عميّ: كان أَبو جهم من المعمَّرين من قريش، بنى الكعبة مرتين مرةً في الجاهلية حين بنتها قريش، ومرةً حين بناها ابن الزبير.

قال أَبو عمر: كذا ذكر الزبير عن عمه: أَن أَبا جهم شهد بنيانَ الكعبة في زمن ابن الزبير، وغيره يقول: إنه توفي في خلافة معاوية، والزبير وعمه أَعلم بأَخبارِ قريش. انتهى.

٦ ــ **بُدَيْلْ بن ورْقَاء رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (١٥٠) **بديل** بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة الخزاعي من خزاعة. أَسلم هو وابنه عبدالله بن بديل وحكيم بن حزام يوم فتح مكة بمرِّ الظَهْران في قول ابن شهاب. وذكر ابن إسحاق: أَن قريشاً يومَ فتح مكة لجأُوا إلى دار بُدَيل بن ورقاء الخزاعي ودار مولاه رافع. وشهد بديل وابنه حنيناً والطائف وتبوك. وكان بديل من كبار مسلمة الفتح، وقيل: إنه أَسلم يوم الفتح. وروى عنه ابنه مسلمة بن بديل أَن النبي صلى الله عليه وسلم كتب له كتاباً. وقال أَبو عمر: وذكر البخاري بسنده عن بديل بن ورقاء أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمره أَن يَحْبس السبايا والأموال بالجعرانة حتى يقدم عليه ففعل. انتهى.

٧ ــ **مسعود بن عمرو القاري رضي الله تعالى عنه**: قال ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١٣٩٤): مسعود بن عمرو القاريّ من القَارَة كان على المغانم يومَ حنين، وأَمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أَن يحبس السبايا والأموال بالجِعرَّانة ولم يزدْ على هذا، وقد تقدم في أَول الباب. انتهى..

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأولى: في «الصحاح»: آن أَيْنُك، وأنى إِينُك: أَي حان حينُك، وآن لك أَن تفعل كذا يَئِينُ أَيْناً عن أَبي زيد أَي حان مثل أَنَى لك وهو مقلوب منه؛ وأَنشد ابن السكيت[1] [من الطويل]

أَلَمَّا يَئِن لي أَن تُجَلَّى عَمَايَتِي ... وأُقْصِرَ عن لَيْلَى بلى قَدْ أَنَى لِيَا

فجمع بين اللغتين. انتهى.

---

(١) انظر اللسان والتاج والصحاح (أني).

قلت: وكذا جاءت اللغتان في هذا الحديث. وفي «ديوان الأدب» (٤:٢٠٣) آن لك أَن تفعلَ كذا يئين أَينا وأَنى لك أَن تفعل كذا يأْني، أَي حان بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل.

الثانية: في «الغريبين» قال الأصمعي: الخمائص: ثياب خز أَو صوف مُعْلَمة وهي سود كانت من لباس الناس.

الثالثة: نِيَار بكسر النون وفتح الياء أُخت الواو: اسمُ رجلٍ، كذا قيّده الفارابي.

الفصل الثالث
في ذكر من تولَّى بيع ما احتيج إلى بيعه من الغنائم

ذكر أَبو القاسم خلف بن بشكوال رحمه الله تعالى في كتابه الذي أَلفه «في تفسير ما استعجم من غوامضِ الأسماء المبهمة الواقعةِ في متون الأحاديث المسندة»، بسنده عن مالك أَنه قال: أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم السعدين يوم خيبر أَن يبيعا آنيةً من المغانم من ذهب أَو فضة، فباعا كل ثلاثة بأَربعةٍ عيناً، أَو كلَّ أَربعة بثلاثة عيناً، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَرْبَيْتُمَا فَرُدَّا.

قال أَبو القاسم ابن بشكوال: السعدان المذكوران اختلف فيهما كثيراً، وأَولى ما قيل في ذلك، إن شاء الله تعالى أَنهما سعد بن أَبي وقاص، وسعد بن عبادة، رضي الله تعالى عنهما.

وروى بسند ذكَره عن أَبي كثير جُلَاح[1] مولى عبدالرحمن أَو عبدالعزيز بن مروان قال: سمعتُ حَنَشاً السَّبَائِي[2] عن فضالة رضي الله تعالى عنه يقول: كنّا يومَ

---

(١) أبو كثير جلاح الأموي مولاهم المصري روى عن حنش الصنعاني وأبي عبدالرحمن الحبلي وأبي سلمة وروى عنه الليث وابن لهيعة والمصريون، توفي سنة ١٢٠ ويقال أنه مولى عمر بن عبدالعزيز أو مولى أخيه عبدالرحمن بن عبدالعزيز (تهذيب التهذيب ٢:١٢٦).

(٢) حنش السبائي الصنعاني أبو رشدين (من صنعاء دمشق) سكن افريقية، (وفضالة الذي عنه يروي هو فضالة بن عبيد) يروي عن عدد من الصحابة، يقال إن جامع سرقسطة من بنائه وكانت وفاته سنة ١٢٠ (انظر جذوة المقتبس رقم: ٤٠٣ والمعرفة والتاريخ ٢:٥٣٠ وتهذيب التهذيب ٣:٥٧ ونفح الطيب ٣:٧ ورياض النفوس ١:١٢١ ومصادر أخرى كثيرة في حاشيته).

خيبر فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغنائم سعد بن أَبي وقاص وسعد بن عبادة، فأَرادوا أَن يبيعوا الدينارين بالثلاثة والثلاثة بالخمسة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا، إلا مثلاً بمثلٍ. قال ابن بشكوال، قال أَبو عمر ابن عبدالبر: هذا إِسناد متصلٌ صحيحٌ حسن؛ فصحَّ أَن السعدين سعد بن أَبي وقاص وسعد بن عبادة، وارتفع الشكُّ في ذلك والحمد لله؛ قال ابن بشكوال: انتهى كلام أَبي عمر والحمد لله.

تنبيـــه:

قد تقدم ذكر سعد بن أَبي وقاص في باب الحارس[1] من هذا الجزء، وذكر سعد بن عبادة في باب صاحب اللواء[2] من هذا الجزء أَيضاً فأَغنى ذلك عن الإِعادة هنا.

فائدة لغوية:

الجُلَاح: اسم الرجل بضم الجيم وفتح اللام مخففة غير مشددة، كذلك قيده الفارابي (١: ٤٤٠).

---

(١) انظر ص: ٤٥٨ في ما تقدم.

(٢) ترجمة سعد تقدمت ص: ٣٤٩.

الباب الرابع والأربعون
في صاحب الخمس
وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر من ولي ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

١ ـ **عبدالله بن كعب بن عمرو الأنصاري رضي الله تعالى عنه:** قال أبو عمر ابن عبدالبر (٩٨١) كان على غنائم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، وكان على خمس النبي صلى الله عليه وسلم في غيرها. انتهى.

٢ ـ **مَحْمِيَة بن جَزْء رضي الله تعالى عنه:** ذكر مسلم (١:٢٩٦) رحمه الله تعالى في كتاب الزكاة في باب ترك استعمال آل النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة، فقال: محمية بن جزء، وهو رجلٌ من بني أسد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمله على الأخماس.

وقال القاضي عياض في «الإكمال» هكذا قال مسلم، وهو رجل من بني أسد، والمحفوظ من بني زبيد. انتهى.

قلت: وإلى بني زبيد نسبه أبو داود في «سننه» (٢:١٣٣) وأبو عمر في «الاستيعاب» (١٤٦٣) وابن حزم في «الجماهر» (٤١١ ـ ٤١٢) وقالوا ثلاثتهم: استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأخماس. وكذلك نسبه أبو عبيد القاسم بن سلام في «جماهره» (٤٦) أيضاً.

الفصل الثاني
في ذكر أنسابهم وأخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ــ **عبدالله بن كعب بن عمرو بن عوف رضي الله تعالى عنه**: تقدم الكلام عليه في باب صاحب المغانم قبل هذا بما أغنى عن إعادته هنا.

٢ ــ **مَحْمِية بن جَزْء الزبيدي**: قال أبو عبيد في «الجماهر» (٤٦) محمية بن جزء حليف بني جمح من ولد زُبَيْد الأصغر، وهو مُنَبِّه بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنَبِّه، قال: ومُنبه بن صعب جماع زُبَيْد.

وقال ابن حزم في «الجماهر» (٤١١ ــ ٤١٢): محمية بن جزء بن عبد يغوث بن عُوَيج بن عمرو بن زُبيد الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن زبيد لَهُ صحبة، بدري، ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخماس والمغانم يوم بدر.

وفي «الاستيعاب» (١٤٦٣): مَحْمِيَة بن جزء بن عبد يغوث بن عويج بن عمرو بن زبيد الأصغر الزبيدي، حليفٌ لبني سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لؤي. كان من مهاجرة الحبشة، وتأخر إقباله منها. أول مشاهده المريسيع، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأخماس وأمره أن يصدق عن قوم من بني هاشم في مهور نسائهم منهم الفضل بن عباس. انتهى.

وذكر مسلم رحمه الله في صحيحه (١: ٢٩٦): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يَصدَّق عن الفضل بن العباس وعن عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث من الخمس.

الباب الخامس والأربعون

في الرجل يبعثه الإمام مبشراً بالفتح وفيه تلقي القوم المبعوث إليهم بالبشارة الامام في الطريق يهنئونه

وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر من بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مبشراً

قال ابن إسحاق (١: ٦٤٢، ٦٤٣) رحمه الله تعالى في أخبار يوم بدر: ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبدالله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة؛ قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين. انتهى.

الفصل الثاني
في ذكر أنسابهم وأخبارهم رضي الله تعالى عنهم

قال ابن هشام في «السير» (١: ٢٤٧): زيد بن حارثة بن شَرَاحِيل بن كعب بن عبدالعزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عَوْف بن كنانة بن بكر ابن عَوْف بن عُذْرَة بن زيدِ اللاَّتِ بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كَلْب بن وبرة. انتهى.

وكذلك نسبه ابن حزم في «الجماهر» (٤٥٩)[1].

---

(١) ذكر ذلك في نسب ابنه أسامة، وفيه بعض اختلاف عما ورد هنا.

وقال أبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٥٤٢): زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أَبو أُسامة، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونسبه كما نسبه ابن هشام وابن حزم، ووصل نسبه بقحطان؛ قال: وكان ابن إسحاق (١: ٢٤٧) يقول: زيد بن حارثة بن شُرَحْبيل، ولم يتابع على قوله: شرحبيل، وإنما هو شراحيل. وأُم زيد: سعدى بنت ثعلبة بن عامر من بني معن بن طيء. وكان زيد رضي الله تعالى عنه أَصابه سباءٌ في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لخديجة بنت خويلد، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمان سنين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَكبر منه بعشر سنين، وقد قيل بعشرين سنة، وطاف به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تبناه على حَلَقِ قريش يقول: هذا ابني وارثاً وموروثاً، يشهدهم على ذلك. وقال عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنه: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٥). وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرجت سعدى بنت ثعلبة أُم زيد بن حارثة، وهي امرأَة من طيء تزور قومَها وزيدٌ معها، فأَغارت خيلٌ لبني القين بن جَسْر في الجاهلية فمروا على أَبيات بني معن رهطِ أُمِّ زيد فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يَفَعة فوافوا به سوقَ عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه منهم حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأَربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له.

وقال أَبوه حارثة بن شراحيل حين فقده[1]: [من الطويل]

بكيتُ على زيدٍ ولم أَدرِ ما فَعَلْ ... أَحيٌّ يُرَجَّى أَم أَتى دونَهُ الأَجَلْ
فـوالله مـا أَدري وإِن كنتُ سـائـلاً ... أَغالك سهلُ الأرضِ أَم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهرَ رجعةٌ ... فحسبـي من الدنيا رجوعُك لي بَجَل
تـذكـرنيـك الشمسُ عنـد طلوعهـا ... وتَعْـرِضُ ذكـراه إِذا قـاربَ الـطَّفَـل

(١) الأبيات في السيرة ١: ٢٤٨ وأنساب الأشراف ١: ٤٦٧ ـ ٤٦٨ والاستيعاب: ٥٤٤ وأسد الغابة ٢: ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

وإن هـبَّتِ الأرواح هَـيَّجْـنَ ذكـرَهُ فيا طولَ مـا حزني عليـه ويا وجـل
سأُعمل نصَّ العِيسِ في الأرض جاهداً ولا أَسـأَم التطوافَ أَو تسـأَمَ الإبـل
حـيـاتي أَو تـأْتـي عـليَّ مـنـيـتـي وكـلُّ امـرىء فـانٍ وإن غـرَّهُ الأمـل
سـأَوصي بـه قيساً وعمـراً كليهمـا وأُوصِي يـزيـداً ثم من بعـده جبـل

يعني جبلة بن حارثة أَخا زيد، وكان أَكبر من زيد، ويعني يزيد أَخا زيد لأمه وهو يزيدُ بن كعب بن شراحيل.

فحجَّ ناس من كلب فرأَوا زيداً فعرفهم وعرفوه فقال: أَبلغوا أَهلي هذه الأبيات فإني أَعلم أَنهم قد جزعوا عليّ فقال[1] [من الطويل]

أَحنُّ إلى قومي وإن كنت نائياً فإني قعيدُ البيت عند المشاعر
فكفوا عن الوجدِ الذي قد شجاكُم ولا تُعْملوا في الأرض نصَّ الأباعر
فإني بحمد الله في خير أُسرةٍ كـرام معدٍّ كـابراً بعـد كـابـر

فانطلق الكلبيون فأَعلموا أَباه فقال: ابني ورب الكعبة، ووصفوا له موضعه وعند من هو، فخرج حارثة وكعب بن شراحيل لفدائه، وقدما المدينة فسأَلا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل هو في المسجد، فدخلا عليه فقالا: يا ابن عبدالمطلب، يا ابن هـاشم، يا ابن سيد قومه، أَنتم أَهلُ حَرَم الله وجيرانُهُ، تفكّونَ العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عبدك فامنن علينا، وأَحْسِنْ إلينا في فدائه، قال: من هو؟ قالوا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهلاّ غير ذلك؟ قالوا: ما هو؟ قال: أدعوه فأُخَيِّره فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أَختارُ على من اختارني أَحداً. قالا: قد زدتنا على النصف وأَحسنت، فدعاه فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم، قال: من هـذا؟ قال: هذا أَبي وهذا عمي، قال: فـإني من قد علمت ورأَيتَ صحبتي لك فاخترني أو اخترهما. قال زيد: ما أَنا بالذي أَختار عليك أَحداً، أَنت مني مكان الأب والعم؛

(١) الاستيعاب: ٥٤٤ وأسد الغابة ٢: ٢٣٥.

فقالا: ويحك يا زيد أَتختارُ العبوديةَ على الحرية وعلى أَبيك وعمك وأَهل بيتك؟! قال: نعم، قد رأَيتُ من هذا الرجلِ شيئاً ما أَنا بالذي أَختار عليه أَحداً أَبداً. فلما رأَى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخرجه إلى الحجر فقال: يا من حضر اشهدوا أَن زيداً ابني يرثني وأَرثه، فلما رأَى ذلك أَبوه وعمه طابت نفوسهما وانصرفا. ودعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالإِسلام فنزلت ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ فدعي يومئذ زيد بن حارثة.

وعن الزهري قال: ما علمنا أَحداً أَسلم قبل زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه؛ قال عبدالرزاق: ما أَعلم أَحداً ذكره غير الزهري؛ قال أَبو عمر رحمه الله تعالى: وقد روي عن الزهري من وجوه أَن أَولَ من أَسلم خديجة.

وشهد زيد بن حارثة بدراً، وزوّجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مولاته: أُم أَيمن فولدت له أُسامة بن زيد، وبه كان يكنى، وكان يقال لزيد بن حارثة: حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: إِن أَحبَّ الناس إِليَّ من أَنعم الله عليه وأَنعمتُ عليه، يعني زيد بن حارثة، أَنعم الله عليه بالإِسلام وأَنعم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعتق.

وقتل زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه بمؤتة من أرضِ الشام سنة ثمان من الهجرة وهو كان الأمير على تلك الغزوة؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإن قتل زيد فجعفر، فإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة. فقتلوا ثلاثتهم في تلك الغزوة. ولما أَتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعي جعفر بن أَبي طالب وزيد بن حارثة بكى وقال: أَخواي ومؤنساي ومحدثاي. انتهى.

وقال ابن قتيبة في «المعارف» (١٤٤) كان زيد ممن أَمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجيش يومَ مؤتة فاستشهد، وكان يوم مؤتة سنة ثمان، وقتل وهو ابن خمس وخمسين سنة. انتهى.

وروى أَبو عمر ابن عبدالبر (٥٤٦) بسنده عن الليث بن سعد قال: بلغني أَن زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلاً من الطائف اشترط عليه الكَرِيُّ أَن ينزله حيث شاء، قال: فمال به إلى خربة فقال: انزل فنزل فإذا في الخربة قتلى كثيرة، فلما أَراد أَن يقتله، قال له: دعني أُصلي ركعتين، قال: صلِّ فقد صلَّى قبلك هؤلاءِ فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً، قال: فلما صليتُ أَتاني ليقتلني، قال: فقلت: ياأَرحمَ الراحمين، قال: فسمع صوتاً: لا تقتله، قال: فهاب ذلك، فخرج يطلبُ فلم ير شيئاً، فرجعَ إلي فناديت يا أَرحم الراحمين، ففعل ذلك ثلاثاً، فإذا أَنا بفارس على فَرَسٍ بيده حربةُ حديد في رأْسها شعلة من نار فطعنه بهافأنفذه من ظهره فوقع ميتاً، ثم قال لي: لما دعوتَ المرة الأولى كنتُ في السماء السابعةَ فلما دعوتَ في المرة الثانية يا أَرحم الراحمين كنتُ في السماء الدنيا فلما دعوتَ في المرة الثالثة يا أَرحم الراحمين أَتيتك. انتهى.

فوائد لغوية في ثماني مسائل:

الأولى: ابن طريف: بشَرْتُك بالخير بفتح الشين وكسرها بِشارة بكسر الباء وضمها وأَبشرتك بالخير أَيضاً. وفي «الديوان» (٢: ٣٥١) بشَّرتُك مشدداً؛ وقاله ابن القوطية (١: ٦٣) وفي «الصحاح» (٢: ٥٩٠ ـ ٥٩١) وتقول: أَبشر بخير بقطع الألف، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ التَّي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠)، والبِشَارةُ المُطْلَقةُ لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مُقيدةً به كقوله تعالى ﴿فبشرهم بعذاب أَليم﴾، وبَشَرْتُ الرجل بَشْراً وبُشُوراً من البُشْرَى، وكذلك الإِبشَارُ والتَّبْشِيرُ ثلاث لغات، وتباشَر القومُ: بَشَّرَ بعضُهم بعضاً، والتَّبَاشِير: البُشْرَى، والبَشِيرُ: المُبَشِّر.

الثانية: في «المشارق» (٢: ١٠٨) العالية ما كان من جهة نجدٍ من المدينة من قراها وعمائرها، والسافلة ما كان من ذلك من جهة تهامة.

الثالثة: في «المشارق» (١: ٣٠٥) الرَّوحاء بفتح الراء ممدود: بينه وبين المدينة

نحو أربعين ميلاً. وفي كتاب مسلم: هي على ستة وثلاثين ميلاً؛ وفي كتاب ابن أبي شيبة: ثلاثون ميلاً.

الرابعة: في «الصحاح» (٣: ١٣١٠)أَيْفَع الغلامُ أي ارتفع وهو يَافِعٌ، ولا يقال: مُوفِعٌ وهو من النوادر، وغلام يَفَعٌ ويَفَعَةٌ، وغِلْمَانٌ أَيْفَاعٌ ويَفَعَةٌ أيضاً.

الخامسة: الفارابي (١: ٢٢٦) بَجَلي هذا وبَجْلِي، بفتح الجيم وسكونها والباء مفتوحة في اللغتين ومعناه: حسبي.

السادسة: في «الصحاح» (٦: ٢٤٤٠): العاني: الأسير، وقوم عُناة، ونسوةٌ عَوَان، وعنا فيهم فلانٌ أَسيراً: أي أَقام فيهم على إِساره واحْتُبِس، وعنَّاهُ غيرُه تَعْنِيَةً: حبسَهُ.

السابعة: في «ديوان الأدب» (١: ١٩٠، ٢٣٩): النِصْف بكسر النون وسكون الصاد: النَّصَفُ والنَّصَفَةُ بالفتح: الاسم من الإنصاف. وفي «الأفعال» لابن طريف: أَنصفتك: أَعطيتك حقك؛ وأَنشد غيره للفرزدق[1] [من الطويل]

ولكنَّ نِصْفاً لو سَبَبْتُ وسبَّني بنو عبد شمس من منافٍ وهاشمِ

الثامنة: في «المحكم» الكِروة والكُروة والكِراء: أَجر المستأْجر، كاراهُ مُكاراةً وكِراءً واكْتَرَاه وأكراه دابته أَو داره، والاسم الكِرْوُ بغير هاء عن اللحياني، وكذلك الكِروَة والكُرْوَة، والمُكَارِي والكَرِيُّ الذي يُكْرِيكَ دابته، والجمع أَكْرِياء لا يكسر على غير ذلك. وفي «الصحاح» (٦: ٢٤٧٣) الكِرَاء ممدود مصدر كارَيْت، والمُكَارِي مفاعل منه، وهو من ذوات الواو، وتقول: أَعطِ الكَرِيَّ كِرْوَتَهُ، بالكسر، أَيْ: كِراهُ، وتقول: هؤلاءِ المُكَارُون، وذهبت إلى المُكَارِينَ، ولا تقول المُكَارِّينَ بالتشديد.

---

(١) البيت في اللسان (نصف) وفصل المقال: ٣٨٢ وديوان الفرزدق ٢: ٣٠٠.